W

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

88-B91227-1

Kalimāt كلمات نابليون

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

نفاد الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد استوجبت اعادة طبعه اجابة لرغبة الكثيرين من عشاق التاريخ والأدب وهنا انتهز الفرصة لشكر الجرائد المصرية التى تناولت هذا الكتاب وتعريبه ومقدمته بالبحث واثنت عليه الثناء الجم . واخص بالذكر منها مجلة المقتطف الشهيرة والجريدة الغراء والشعب يومئذ والمؤيد الزاهر وغيرها من المجلات والصحف التى لم يسعها الا نقله فى صفحاتها جملة فجملة ليعم نفعه والسلام ؟

رمزى

مصر الجديده فى ١٥ مايو سنة ١٩١٥

(Arab)
DC214
.R359
1915

مقدمة المؤلف

قدر أحد ثقات المؤلفين عدد الكتب التى لا بد منها لامكان معرفة سيرة نابليون وأخلاقه وطباعه معرفة وسطى بمائة كتاب وليس يخفى أنه لايستطيع قراءة هذه الكتب كلها الا الأقلون منا لذلك كانت الحاجة ماسة الى مثل هذا الكتاب الصغير الذى يمثل لك الامبراطور مفصحاً عن نفسه

لقد بدا لى أثناء مطالعتى ما ألف عن عهد نابليون أن أكثر الكتاب أحد رجلين رجل يحكم لنابليون وآخر عليه فهم لا يجلسون مجلس القضاء يجمعون ما تصل اليه أيديهم من غير تحامل ولا هم يسيرون فى الامر وسطا . ترى الدكتور « هولندروز » الذى نال كتابه ما نال من الشهرة العظيمة لم يأت ببرهان واحد على رأيه فى نابليون وقدحه فيه وترى كتاب المستر « لامفرى » على بهجته مكتوباً بقلم كأنه غمس فى حبر من نار حتى لا أظن انه قد وضع كتاب فى هجو نابليون أشنع من هذا الكتاب . ثم اذا اطلعت على مؤلف « أبوت » المشهور وجدت خلاف ذلك على خط مستقيم فهو انما يريدنا على أن نعتقد ان بطل كتابه انما كان قديساً ولكنه الرجل الذى أساء الناس فهمهم فيه مع انه أعظم الناس طرا هنالك

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 021652720

يجعل الكاتب مكان الوقف من الجملة قوله (ليحيي الامبراطور) وينقط كل حرف منقوط بدمعة من عينيه

انما ذكرت كتاب « أبوت » فى هذا المقام لانه معروف على جانبي المحيط الاطلسى ومن الناس من يراه أول ما يجب ان يقرأ من الكتب اذا أريد درس حياة ذلك الكورسيكى العظيم

كان نابليون يقول شيئاً ويفعل شيئاً آخر لانه كان يرى السياسة فى تلك الخطة . وعنده ان الثبات انما هو من خصائص أهل الوسط . وكان فى الحرب يرى الرجال حوله يسقطون على الارض فلا تبدو على شفتيه هزة ولكن اذا انجلت الموقعة كان الجرحى كل من يعنيه أمره ولا شك أن رجلا كهذا انما يجمع بين الوحش والانسان فى أديم واحد قال « جورجود » لم يكن النصر ينسيه أولئك الجرحى

داس حصان جريحاً لا تزال فيه آثار الحياة فاعتذر صاحبه بقوله أن الجريح كان من جيش العدو الروسى فقال نابليون ليس بعد النصر أعداء

هذه صورة نابليون فى دخيلة نفسه مكشوفة للناس وهو غرض هذا الكتاب فموضوعه اذن الابانة عن هذه الشخصية المركبة

كان نابليون لا يهتم بعشرة النساء ولا مجالستهن الا قليلا على ان ميله وحبه العظيم لأفراد أهل بيته منهن يدلان على انه لم يكن مجرداً من عاطفة الحب الانسانى فانه كان يحترم مدام « مير » و « جوزفين » عظيم الاحترام على انه لم يكن لهما شأن فى السياسة كما انهما كانتا على طبائع مختلفة اختلافا كبيراً

كانت « ليتيتيابو نابارت » امرأة عملية تعد اكثر اهل جنسها اقتصاداً وكان نابليون يشكو حطة مافى ردهتها من الاثاث اما « جوزفين » فكانت مسرفة كثيرة الدين وماكان يحلو لها وقت من الاوقات الاليلة تشرق بجمالها فى عرصات القصر الامبراطورى و « مارى لويز » انالته بغية قلبه وهو الولد الذى رزق به منها سألته مدام « دوستيل » يوما أى النساء أعظم قال تلك التى ولدت اكثر عدد من الاطفال . وفى ذلك دليل على انه كان يرى المرأة نافعة على العموم لان الاولاد عنده انما هم في الحقيقة جنود معدودون

ذلك شأن من عاشرنه من أهل بيته وكان غيرهن من النساء ألعوبة له فى بعض ساعات الفراغ على أنه لم يكن يهتم بامرهن الاقليلا ولايفكر فيهن الانادراً ماعدا الكونتس « والوسكا »

البولاندية الحسناء فانها نالت حظوة لديه لم تنلها سواها . من ذلك نستدل على ان نابليون لم يكن يجفو النساء اويزرى بهن بل كان له فى الجملة عناية بهن

كان نابليون أسيراً فى سنت هيلانه وكان لديه من الوقت متسع عظيم للتفكير يشهد بذلك ما أبرزه « لاكاس » و « منتولون » و « جورجورد » وغيرهم . كان ينسى السياسة وذكرى الحروب ويكشف عن سريرته فى أقواله وأحاديثه فيلقى على من كانوا حوله من رفقته المخلصين أراءه فى الدين والسياسة وما كان يتوقعه فى مستقبل حكمه لو دام . قال أحد الكتاب منهم « هنالك رأينا اللين يغشى قلبه ورأينا تلك الأسوار الحديدية التى نصبها الطمع على فؤاده قد ذابت وتطايرت حتى بدالنا قلبه كله »

أن هذا الكتاب الذى نسميه « كلمات نابليون » مجموعة مقتبسات من كتب عدة اطلعت عليها وقد وضعتها كذلك لعلمى أن صورة نابليون الباطنة قد فات كثيراً من الكتاب الذين هم أقدر مني أن يعنوا بها ولكنى قد محصت الامر واستخرجت حبّه من عصافته وأسقطت ماجاء به غير الثقات من الكتاب فاذا استطلعها القارىء اتضح له من أمر نابليون ظاهره وباطنه مالا يجده

الا فى عديد من الكتب اه

هذه مقدمة جامع الكتاب ولقد كان فى نيتى أن أقف عند هذا الحد ولكنى رأيت ان أضيف اليها سيرة نابليون التاريخية معتمداً فى ذلك على ماورد فى كتاب (حوادث التاريخ العظمى) الذى وضعه لطلبه المدارس الثانوية فى انجلترا ذلك المؤرخ المشهور والكاتب الفصيح الدكتور « كولير » حتى يطلع القارىء على ظاهر الرجل وباطنه ولما كان لاكثر ماجاء فى هذه الكلمات علاقة تامة بهذا التاريخ بل لايمكن الذى لا يعرف من سيرة نابليون الا النذر أن يتفهم حقيقة معنى هذه الكلمات فقد وجب ان نأتى بهذا التاريخ مقدمة لهذه الكلمات فعسى أن يكون فى تمثيله للناس على هذا المنحى الفائدة التى أرجوها

وردت هذه الكلمات فى النسخة الانكليزية معزوة الى المورد الذى أخذت منه ومذكوراً تحت كل منها رقم الصفحة التى جاءت فيه من كل كتاب وهذه ضربت عنها صفحا ولكنى رأيت ان آتى على اسماء مؤلفى هذه الكتب وعنواناتها فى آخر هذا الكتاب حتى لاتفوتنا الفائدة التى أرادها الجامع

ابرهيم رمزى

مصر فى ١٠ ابريل سنة ١٩١٢

تاريخ نابليون

حياته المدرسية

ولد نابليون بونابارت فى اجاكسيو احدى مدن جزيرة كورسيكا فى الخامس عشر من شهر أغسطس سنة ١٧٦٩ وكان أبوه شارل بونابارت من رجال المحاماة الطليانيين خدم في الجندية أيام كان أهل هذه الجزيرة يدفعون عنها غارة الفرنسيين على أن هؤلاء قد تغلبوا عليهم في سنة ١٧٦٨ وكانت أمه تدعي ليتيزيا راموليا وكان نابليون ثاني اخوته

لم يكد نابليون يبلغ العاشرة من عمره حتى دخل مدرسة برين الحربية وقضي بها خمس سنوات ونصف كان فى غضونها يقدم اسمه فى تقرير المدرسة الى الملك . ومما ذكر فى هذا التقرير عن نابليون أنه كان ممتازاً في دروسه الرياضية واسع الاطلاع على التاريخ والجغرافية أما اللغة اللاتينية فكان فيها متأخراً عن أقرانه تأخراً كبيراً كما كان في ادب اللغة وغيرها أما هو فكان محباً للدرس حسن السيرة والمسلك تام الصحة

في سنة ١٧٨٤ غادر نابليون مدرسة برين ودخل مدرسة باريس الحربية قضي بها ما يقرب من سنة ثم نال رتبة ملازم ثان فى المدفعية الفرنسيه

حياته العمومية

مال نابليون الى الجانب السائد في الثورة الفرنسية وهو الذى أطلق مدافعه في شوارع باريس على العساكر الوطنية فمزقهم كل ممزق وبذلك انتهى عهد الثورة الفرنسية وجاء عهد آخر في التاريخ الفرنسي كان هو روح ذلك العهد

أبد عشرين سنة لانه لم يمض قليل على فعلته هـذه حتي عين نابليون بفضل المسيو براس أحد الدير كتوارت (أو المديرين) الخمس الذين حكموا فرنسا في ذلك العهد بالتضامن قائداً عاما لجيش فرنسا الداخلى وهولم يبلغ من العمر الا خمساً وعشرين ربيعاً وتزوج بعد ذلك بجوزفين بوهارنز أرملة أحد أشراف فرنسا الذين ذهبوا ضحية مقصلة الثورة الفرنسية وكانت أكبر منه سناً ولـكن نشأ بينهما حب ذهب بتلك الفروق وتزوجها في سنة ١٧٩٦ وقبل زواجه بقليل عينه فاظر الحربية قائداً عاماً لجيش ايطاليا فذهب فى تلك الحملة

الحملة الايطالية سنة ١٧٩٦

لما وصـل نابليون الي مدينة نيس وجـد سهول ايطاليا الشمالية تموج بالعساكر النمساوية تحت امرة الجنرال بوليو

لم تـكن الجنود الفرنسية شيئاً مذكورا أمام النمساويين اذ كانوا لايمتازون عن سـوقة الناس فى شيء كانت ملابسهم رثة وأطعمتهم رديئة لم يتـدربوا التدريب العسكري اللازم وكانت أجورهم قليلة لا يدفع لهم أكثرها أما الخيل التى كانت في خدمتهم فلم يكن يربى الصالح منها على مائة بين أربعين ألفاً من الرجال وعلى الجملة فلم يكن فيهم شيء يرتضى الا صغر سنهم اذ كانوا جميعاً من الشبان كما كان قائدهم على أنه كان يظن انه من خرق رأى الحـكومة وضعف سياستها أن تـكل أمر هذه الحملة الى فتى لم تـكن له الخبرة العسكرية التامة التي يعتمد عليها قبل اليوم ولـكنه استطاع أن يجعل من هذا الجيش غير النظامي جيشاً به أمكنه أن يخضع ايطاليا جميعها فى اثني عشر شـهراً . وقف في ميليسيمو وقفة صد بها النمساويين وقطعهم عن محالفيهم من السردينيين فـكان من وراء

ذلك ان نزل ملك سردينيا وهو حاكم تلك الاصقاع يومئذ عن كل استحكاماته على ممرات الالب لفرنسا

قنطرة لودى

بعد أن عبر نابليون نهر البو جنوب بافيا رد نابليون قائد النمساويين بوليو المذكور فتقهقر هذا الى نهر «ادا» وكانت عليه قنطرة تسمى « قنطرة لودي » ماذكرها الفرنسيون حتى يومنا هذا الاوناردم فى عروقهم هنالك نصبت المدافع النمساوية على مدخل تلك القنطرة تقذف جللها كأنها رسل الموت الى صفوف الفرنسيين المتقدمين الذين اخترقوا ذلك الطريق الموحل حتى كانوا بين مدافع النمساويين يقصدون رجال المدفعية بسنكياتهم قبل أن يتمكن القائد بوليو من ارسال المشاة لانقاذ رجاله وبذلك سقطت مدينة ميلان العظمي فى قبضة نابليون وتلا تلك الموقعة العظيمه تلك الموقعة الدموية التى حدثت فى « آركول » ومثلها فى « ريفولى » وتسليم مدينة « مانتوا » وكذلك أصبحت ايطاليا تحت أقدام شاب لم يتجاوز الثامنة والعشرين

معاهدة كامپو فورميو سنة ١٧٩٧

بعد أن اخترق نابليون جبال الالب وهو يطارد الارشيدوق شارل تقدم بجيشه الى فينا ولكنه وجد مؤخرة جيشه يهددها جنود « التيرول » و « بوهيميا » فرأى أن يعقد صلحاً ثم عاد الى فنيس وادال حكومتها القائمه

كانت تلك المدينة فداء للنمسا وكفارة عن ذنوبها في كل حين . نزل نابليون بها فسلبها ما كان فيها من تماثيل الخيل البرونزية التي نصبت في كنيسة سنت مارك كما أخذ منها كل ما كان عليها من حلى الذهب وغيره . أغرق

أسطولها وشتت مراكبها وبذلك سقطت عروس الادرياتيك في قبضة نابليون بونابارت ومما يروى عن دوق فنيسيا الاخير أنه سقط مغشياً عليه حينما لفظ يمين الخروج من طاعة أمبراطور النمسا . ثم انتهت هذه الحرب بمعاهدة كامبو فورميو بين فرنسا والنمسا نالت فرنسا بها الاراضى الواطئة النمسوية والجانب الايسر من نهر الراين وجزاير أيونيان ومقاطعات (ميلان) و(مانتوا) وهذه جعلت جمهورية تدعي جمهورية السيسالب

نابليون فى مصر سنة ١٧٩٨

فكر نابليون بعد مدة قضاها فى راحة أن ينزل بمصر فنزل بها في صيف سنة ١٧٩٨ وغلب المماليك في واقعة الاهرام وكان غرضه من احتلال مصر أن يسلخ الهند من انجلترا ولكن لم يساعده المقدور على ذلك فقد كان الاميرال نلسون الانجليزي يتعقبه في البحر الابيض المتوسط حتي اذا تلاقي بمراكب نابليون فى خليج أبي قير هشمها وأغرقها (أول أغسطس سنة ١٧٩٨) فذهب نابليون بعد ذلك الى عكا يريد احتلال تلك البقاع فما استطاع امتلاك حصن عكا الحصين فانقطعت آماله يومئذ من مناهضة سلطة انجلترا في الشرق فعاد الى فرنسا هو وقليل من ضباطه وغادر أكثر جيشه في تلك السواحل على ما ألم به من المرض والنصب والمجاعة يحاول عبثاً أن يتغلب على تلك الديار

قضى نابليون فى تلك الحملة سبعة عشر شهراً (من ٩ مايو سنة ١٧٩٨ الى ٨ اكتوبر سنة ١٧٩٩) سقطت فيها حكومة الديركتورين فى حمأة الفساد واضطربت مالية الحكومة واستردت النمسا فيها أملاكها في ايطاليا

القنصلية سنة ١٧٩٩

اتجهت الاعين جميعها الى نابليون وقد عزم على أن يحدث فى الحكومة تغيراً ظاهراً ذلك بأن أحد المديرين المدعو (سياس) وضع لفرنسا مشروع دستور كان على بونابارت وجيشه أن ينفذه فنقل المجلسين الى (سنت كلود) لئلا يرهبهم الشعب بأفعاله وصادف مرور نابليون من مجلس الشيوخ الى مجلس الخمسمائة فلما كان بينهم صاح صائح « لانريد (Dictator) » أى لانريد أن نخضع لسلطة فرد متصرف وعززه غيره من أعضاء ذلك المجلس ثم التفوا حوله يصيحون ويلغبون فاضطر أن يدخل المجلس جملة من الجنود لحماية نابليون من أذاهم

وكان أخوه لوسيان رئيس ذلك المجلس فقام عن كرسيه وآذن بانحلال الجمعية

وعقبه القائد (مورات) اذ سار في عرصات المكان بفرقة من الجند معهم طبولهم يضربون عليها وهم يخرجون أعضاء ذلك المجلس وسنكياتهم مشرعة استعداداً لكل حادث فخرج الاعضاء يتعثرون ومنهم من قذف بنفسه من نوافذ المكان وجلا ورهبة

تهدم بذلك أساس حكومة المديرين وقامت في فرنسا حكومة أخرى اسمها حكومة القناصل لانها كانت تحت ثلاثة رجال يدعون بهذا الاسم كانت مدة حكم القنصل عشر سنوات وكان اكبر هؤلاء نابليون وله السلطة كلها امارفيقاه ومنهما سياس صاحب المشروع فلم يكن لهما من الامر الا سلطة استشارية وتتألف

باقى الحكومة من ثلاثة مجالس مجلس الثمانين ومجلس الشورى وعدد أعضائه ٣٠٠ شخصاً ومجلس آخر عدد أعضائه مائة . كان العمل يوزع بين هذه المجالس بحيث لايقترع مجلس على مشروع من الحكومة اذا كان هذا المجلس قد بحثه ولا يبحث هذا المشروع مجلس يكون قداقترع عليه

ابتدأ نابليون بعد ذلك ان يمثل دور الملك فكتب الى جورج الثالث ملك انجلترا يومئذ يقترح عليه عقد صلح بين القطرين فرفض الملك هذه الفكرة وكان نابليون قد أخرج الروسيا من الاتفاق الذى حصل بين الدول ضده وكان حتما عليه أن يقضى عليه فانصرف نابليون فى داخلية البلاد الى تدريب جيش جرار من أبناء فرنسا فلم تمض عليه برهة من الزمان حتى أجتمع لديه ربع مليون من الجنود النظامية ثم عمد الى الصحافة فقيدها وكم أفواهها ونشر من الجواسيس والعيون في انحاء فرنسا جيشاً آخر جراراً كانت ويلاته عليها لاتطاق ثم لما علم من طبيعة أمته انها تميل الي الزهو واللهو والظهور كان يعقد في سراى التويلارى حفلات رقص يجمع اليها أجمل نساء باريس وأرشق شبانها من الضباط فكانت هذه الحفلات أزهى مما كان فى أيام البربون

واقعتا مارنجو وهو هنلندن

عمد نابليون الى الاقتصاص من النمسا مرة ثانية فذهب الى شمالي ايطاليا فى ستة وثلاثين ألف رجل وألفين مدفعاً ثم صعد جبال الالب ذلك الصعود الذى لايزال يذكره التاريخ حتي يومنا هذا بالاجلال والاعظام صعد نابليون بعسكره جبال الالب وأصعد معه مدافعه يجرها في اعجاز الشجر على

ثلج تلك الجبال وجليدها ثم انساب على السهول بجيشه انسياب الجارف الهارى وسار به الى ميلان حتى لقيه طرفا جيشه هذا قد اخترق جبل سان جوتارد وذلك قد جاز جبل سامبلون ثم بعد أسبوعين التقى بالقائد النمساوي ميلاس على سهول مورنجو بالقرب من الساندريا وكان جيش الفرنسيين يعدل ثلث جيش النمسا فلم يستطع المقاومة ولكن جاءه القائد الفرنسى (ديسيه) معززاً فنزل بفرقته (وكانت آخر ماعند الفرنسيين من الاحتياطيين في تلك الموقعة) على صفوف النمساويين فمزقهم شر ممزق ولكن سقط القائد على الارض ميتاً في ساعة النصر المبين وتعقب الفرنسيون بعد ذلك أعداءهم حتي أجلوهم عن مواقعهم وردوهم فيما وراء الحدود

وفي شهر نوفمبر من تلك السنة كان القائد مورو الفرنسي قد أرسل الى نهر الراين فالتقى بالنمساويين وبدد شملهم فى تلك الموقعة المشهورة المعروفة بواقعة هوهنلندن

وانتهت هذه الوقائع بعقد صلح يسمى بمعاهدة لينيفيل على ان شروط هذه المعاهدة لم تخرج عما جاء في معاهدة كامبو فورميو السابقة

عودة المسيحية

عادت المسيحية الى فرنسا بعد تقلص ظلها ورحب الناس بتلك الاصوات التي كانوا يسمعونها كل سبعة أيام أصوات النواقيس في الكنائس وأصدر نابليون بعد ذلك عفواً شاملا لمن أدى يمين الطاعة للحكومة الجديدة فى أيام معدودات فعاد اليها مائة ألف أو يزيدون واسترد كثير ممتلكاتهم التي سلبوها وأنشأ نابليون الوسام المعروف بوسام لجيون دونور أى وسام الشرف وكان

يعطي للجنود والمدنيين على حد سواء

مؤتمر الشمال سنة ١٨٠١

كانت بريطانيا العظمى الدولة الوحيدة التي يخشاها بونابارت حتى عقد اتفاقاً بين ملوك أوربا الشماليين وبينه فانضمت روسيا الى فرنسا انضماماً تحالفياً ضد انجلترا ومراكبها ولكن نلسون كان قد ذهب الى كوبنهاجن فضربها وأغرق مراكبها وحدث أن تآمر بعضهم على قيصر الروسيا فخنقوه وبذلك انحل ذلك الوفاق

معاهدة أميان سنة ١٨٠٢

وفي ذلك العهد أيضاً ذهب جيش تحت أمرة السير رالف أبركرمبي الى مصر وشتت ما كان فيها من بقايا جيش الفرنسيس فلما رأى نابليون كل هذه الخسائر لم يسعه الا أن يطلب الصلح فعقدت معاهدة أميان الشهيرة في سنة ١٨٠٢ كان مضمونها أن تبقى بلجيكا لفرنسا ويبقى لها أيضاً الجانب الايسر من نهر الرين واستعادت جزرها الغربية الهندية وأخذت هولندا رأس الرجاء الصالح مرة أخرى وبقيت جزيرة سيلان لانجلترا ولكن نابليون لم يكن يريد السلام ولا ينويه انما كان يريد أن يحصل على مدة من الزمن يستطيع في أثنائها أن يتنفس قليلا حتى يمكنه أن يعد نفسه مرة أخرى لحملة أعظم ونصر مرضي في الخارج وكان الفرنسيون قد أعجبوا بما نال قائدهم من النصر والفتوحات المتوالية وأعجبهم ما في حكمه من الرفق والصلاحية فصدر قرار من مجلس الشيوخ يقضي بجعل نابليون قنصلا أول مدى حياته وكان قد

بلغت الحماسة من نفوس الفرنسيين مبلغاً عظيماً فصادف هذا القرار من نفوسهم كل الاقرار والدعاء

قانون نابليون

من الاعمال العظيمة التى فعلها في هذا الزمان ذلك القانون الذي سمى بقانون نابليون فانه قد عهد الى ست من رجال القضاء فى حكومته بتدوين مواد هذا القانون كل فيما اختص به حتى اذا جمعت كانت قانون نابليون المعروف الذي لاتزال تنعم به فرنسا وتفتخر والذى اتخذه كثير من الأمم أساساً لمقاضياتهم كمصر واليابان وغيرها . أما المدارس فى أيامه فقد كانت عسكرية الصبغة وكان أهم مايعنى به المعلم اللغة اللاتينية والرياضات والتمرين العسكري

تجديد الحرب سنة ١٨٠٣

قلب الانجليز لنابليون ظهر المجن بدعوى أنه كان كثير الاهانة لهم في أقواله وأفعاله فعمدوا ألى المراكب الفرنسية المطمئنة فى موانيهم فقبضوا عليها فهاج ذلك من سخط نابليون ولما لم يجد الى الثار سبيلا معجلة أرسل فحبس كل انجليزى على ظهر فرنسا في السجون ثم أرسل جيوشه فنزلت بمدينة هنوفر واستعدوا لغزو انجلترا وكان هذا أقصى آماله ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا فان انجلترا وضعت على شواطئها السفلى كل ما كان لديها من عدد وعدة : مائة وستة وثلاثين ألف بحار قد لزموا مدافعهم عن كثب وضعف هذا القدر من المشاة وقفوا كانما هم يطرزون ساحل انجلترا على المنش بملابسهم الحمراء فلما رأى نابليون ذلك أعرض عن غزو انجلترا تاركا مراكبه البحرية فى بولون

على ساحل فرانسا من جهة انجلترا وسار بعسكره الى نهر الدانيوب

تلقيب نابليون أمبراطورا سنة ١٨٠٤

قبل أن يحوز نصره العظيم على الدانوب اقترف نابليون جريمة فظيعة . ذلك أنه كان قد تآمر عليه بعض ضباطه ومنهم پيشيجرو وموروا واكتشفت المؤامرة فزج الاول فى السجن ونفى الثاني ولكن ذهب ضحية هذه المؤامرة رجل برىء هو دوق دانجان من بيت كوندى المشهور اتهموه بالاشتراك فى المؤامرة على أن جريمته الحقيقية لم تكن الا أنه كان من البربون الذين يكرههم نابليون هنالك قبضوا على الرجل وحبسوه فى قلعة (فنسن) بعد محاكمة أشبه بالاضاحيك ثم قتل رمياً بالرصاص ودفن حيث كان ولم يمض قليل بعد ذلك حتى أصدر المجلسان قراراً بجعل نابليون أمبراطوراً على الفرنسيس والظاهر أن الامة لم تكن موافقة يومئذ على هذه التسمية فانه لما أخذ أصوات الشعب الفرنسى لم ينل نابليون الا ثلاثمائة ألف صوت على أنه لم يحفل بذلك بل أعدت حفلة التتويج وصدر بها الامر من سان كلود

وكانت حفلة تتويج نابليون أمبراطوراً حافلة دعي اليها البابا (بيوس السابع) لاجراء رسوم التتويج في كنيسة (نتردام) ولكن نابليون أبى أن يطأطىء رأسه للبابا عند التتويج فأخذ التاج من حيث كان وألبسه رأسه ثم ألبس زوجته (جوزفين) تاجها أيضاً بيديه

ملك ايطاليا . مايو سنة ١٨٠٥

وكانت الجمهوريات الايطالية قد اتحدت فيما بينها على تكوين مملكة تسمى

نابليون فى واقعة أوسترلتز

بالمملكة الايطالية ولما تم ذلك لهم دعى نابليون ليكون ملكا على هذه المملكة الجديدة فسار الى ميلان في أبهة الملك والعظمة

ولما كان اليوم السادس والعشرين من شهر مايو دخل كنيسة ميلان وألبس نفسه تاج لمباردى الحديدي وهو يقول ان الله قد وهبني هذا التاج فالويل لمن يحاول لمسه بيديه ثم جعل أوجني بوهارناس ابن جوزفين الذى تبناه والياً ونائباً عنه في مملكة ايطاليا

واقعة الطرف الاغر سنة ١٨٠٥

لما رأت بريطانيا والروسيا والنمسا أن نابليون قد هدد السلام العام في أوربا وخشيت منه على ممتلكاتها وعلى نفسها اتفقت جميعا على مناهضة نابليون ومن المؤرخين من يعزو هذا الاتفاق الى نقض نابليون ما كان بينه وبين اكثر هذه الدول من العهود والارتباطات فجهزوا جيوشهم وساروا لملاقات جيوش نابليون براً وبحراً فكانت الحروب في أسبانيا من طرف والنمسا من طرف آخر وذهب الاميرال نلسون الانجليزي الى الطرف الاغر حيث كانت المراكب الفرنسية فنشبت بينهما موقعة تاريخية عظيمة تهشمت فيها مراكب نابليون والانجليز أيضاً ولكن كان النصر فى النهاية للاميرال نلسون العظيم على أنه قضى نحبه فى ساعة ذلك النصر أما الجيوش البرية فلم تصادف من جيوش نابليون مقتلا بل تعقبت جنوده جيوش المحاربين فى أسبانيا وهزموهم هزيمة ألقت الرعب فى قلوب أوربا جميعها وسار نابليون يتعقب جيش (ماك) القائد النمسوي حتي اضطره الى التسليم وكان جيشه يربي على ثلاثين ألفاً من الرجال (١٧ اكتوبر)

ثم سار الجيش الفرنسى بعد ذلك الى فينا يقوده نابليون حتى بلغ أبوابها ففر الامبراطور فرنسيس الى مدينة (المتز)

واقعة استرلتز سنة ١٨٠٥

وحدث بين الجندين معركة دموية لم يعرف التاريخ قبلها ماهو أنكى واشأم . تلك موقعة استرلتز التى نال فيها نابليون النصر المبين هنالك تقابل الجيشان وجهاً لوجه وكان جيش النمسا يعززه جيش قيصر الروس ثمانين الفاً تقاتل مثلها من النفوس فلما دقت الطبول مشي الملوك الثلاث اسكندر الروسى وفرنسيس النمسوي ونابليون الفرنسى كل يقود جيشه بيديه وكان اليوم من أيام الشتاء فى ديسمبر فلم تشرق الشمس وغشيت الارض غبرة أشبه بغبرة الموت فمشي نابليون بجيشه ومشي اسكندر بجنوده فالقى نابليون على أجنحة الروس من جيشه ما ألقى فاذا صفوفهم خطوطاً كانما هي على ورق فمن نجا منهم فقد شتتهم الرعب حتي اذا وجدوا أمامهم بحيرة كان الثلج على ظاهرها حسبوها منجاة من الموت فاذا نابليون قد أطلق أفواه مدافعه عليها تصب الحمم واللهب المتطاير حتى أفنتهم عن آخرهم والتقى بقية جيشه بالنمساويين فأجلوهم عن مواقعهم وتعقبوهم بالسيف والمدفع حتى لم يبق لهم على الارض ظل بذلك انتهت تلك الموقعة الدموية وتم النصر فيها لنابليون وقد فقد فيها الجيش المتحد ثلاثين ألفاً من رجاله وفقد نابليون اثني عشر ألفاً . وعقدت بعد ذلك معاهدة في السادس والعشرين من شهر ديسمبر بين النمسا وفرنسا

جمهورية الرين

نشأ من ذلك النصر الذي ناله نابليون تغير عظيم في دستور المانيا فرقي نابليون منتخب بافاريا ملكاً ورقي منتخب ورتبرح ملكا أيضاً وجعل من كثير من حكوماتها الصغري جمهورية سماها اتحاد الرين وكان فرنسيس الثاني أمبراطور المانيا قبل ذلك في سنة ١٨٠٤ قد سمى نفسه فرنسيس الاول أمبراطور النمسا ولكن انفصال النمسا عن المانيا تم رسمياً فى سنة ١٨٠٦ وهو اليوم الذى دالت فيه الدولة الرومانية المقدسة ومن ذلك العهد ابتدأ نابليون يهب الممالك للناس فقضي على نابولى في سنة ١٨٠٦ وجعل أخاه يوسف ملكا عليها ثم حول جمهورية بتافيا الى مملكة سماها مملكة هولندة وجعل أخاه لويز ملكا لها وأطلق على نسيبه مورات أشهر فارس ركب الخيل في أوربا في ذلك الزمان جراند دوق ايالة برج

واقعتا اوراستات وجينا سنة ١٨٠٦

أهم ما فى سنة ١٨٠٦ ما حدث فيها من تذليل بروسيا . كانت بروسيا تمثل دورين مختلفين فنالت جزاء هذا الرياء . كانت تدعي أنها صديقة بريطانيا العظمي على انها لم تفعل شيئاً للحصول على هانوفر من الامبراطور مع علمها بانه أعدي أعداء انجلترا وكان نابليون قد غير من سياسته نحوها لانه لم يكن محتاجاً يومئذ الى ممالأتها على السكوت وكان قد ساءته من رياتها أمور فوجه اليها عساكره وحاربها فى واقعتين فى يوم وأحدهما أوراستات وجينا . هنالك قاتل عسكر البروسيين الذين كان فردريك الاكبر قد دربهم أبد نصف قرن على الاعمال العسكرية حتي كانوا مثالا للجندية الى أن هزمهم الهزيمة التي

جعلت بروسيا ذليلة تحت قدميه

قرار برلين سنة ١٨٠٧

لما كان نابليون فى برلين التي دخلها بعد أسبوع من حدوث واقعة جينا أصدر قرارا مؤداه أن تقفل أبواب أوربا في وجه البضاعة الانجليزية وأعلن أن الجزائر البريطانية فى عزلة تامة كما أنه حرم على أوربا أن تكاتب انجلترا في شيء ولا تعاملها ملطقاً وعد كل مصنوعات انجلترا وحاصلاتها فى حكم المهربات كما أنه أعتبر الاملاك البريطانية نهبة محللة وأصدرت انجلترا من جانب آخر أمراً يحرم الاتجار مع فرنسا ومحالفيها ولكن لم يكن يمكن استمرار العمل بتلك القرارات لانها كانت تحرم أوربا من كثير من ضروريات الحياة ولاسيما لان مصنوعات انجلترا من قطنية وحديدية وغيرها كانت تعتمد عليها أوربا كل الاعتماد لذلك كانت ترد اليها كلما استطاعت سفينة انجليزية أن تقف في أى شاطيء من شواطيء تلك البلاد

معاهدة تلست سنة ١٨٠٧

كأن الروس لم تكفهم تلك الهزيمة المخجلة التي لقيها جيش القيصر فى استرلنز وكأن الالمانيين رأوا أن ما بقي لهم بعد فضيحة جينا انما هو كثير على أنفسهم فعرضوا أنفسهم مرة أخرى لنابليون فأرسل عليهم هذا من عساكره ما بدد شملهم في الطرفين وقتل من الروس ستين ألفاً من الرجال فى واقعة فريد لاند التي حدثت في منتصف شهر يونية سنة ١٨٠٧ فاضطر القيصر اسكندر أن يعقد صلحاً فى تلست وهى مدينة واقعة على نهر نيامن . أما ألمانيا فقد فقدت البقية الباقية لها من الرعاية عند نابليون

حرب الجزيرة ١٨٠٨ الى ١٨١٣

لم ترد البرتغال أن تتبع نظام نابليون فى أوربا فأرسل نابليون اليهم قائده (جونوت) فاحتلها وطرد بيت براجانزا المكوكي منها فهاجروا الى البرازيل وعاد الجيش الفرنسي بعد ذلك الى أسبانيا فنل عرشها من مالكها البربونى ليتبوأه يوسف بونابرت ملك نابولى فلما خلا عرش نابولى منه رقي نابوليون نسيبة دوق برج ملكا لها

اضطرب الاسبانيون لذلك فاستغاثوا بالانجليز فجاؤوهم ونشبت بينهم وبين الفرنسيين مواقع لم يغلب الانجليز فيها الا فى واقعة (فيتوريا) سنة ١٨١٣ وكان يرأسهم في تلك الموقعة (ولنتجتن) القائد الانجليزي المعروف . لم يحضر نابليون هذه الوقائع بل انما كان قواده القائمين بها ولم يزر أسبانيا الا فى السنة الاولى من نشوب الحرب قال وهوذاهب اليها « اني ذاهب لانظف أرض الجزيرة من تلك الثعالب الانجليزية التى غشيتها » .

قضى نابليون ثلاثة أشهر غلب فيها الاسبانيين في واقعة طليطلة (توليدو) ودخل مادريد عاصمة الاسبان فاتحاً منتصراً ثم غادرها بعد ثلاثة أشهر حين بلغه أن جيشاً نمساوياً قد تحرك يريد محاربته

الحرب النمساوية سنة ١٨٠٩

في هذه السنة النمساويون جمع نصف مليون من الجنود يريدون ان يمسحوا بها العار الذي لحق بهم بعد واقعتى مارنجو واسترلنز واضطربت البلاد اضطرابا لهذا العمل فقام الارشدوق شارل ودعا الامة الالمانية للقيام فى وجه نابليون وتكسير ذلك النير الفرنسي الثقيل فاخترق نابليون اليهم نهر الرين وقهر

شارل المذكور في بافاريا وضرب فينا وسار تخفق أعلامه في شوارع تلك المدينة العظيمة وتدق طبوله وتعزف بوقاته عزف المنتصر القدير كل ذلك في تسعة أيام (٣ ابريل الى ١٢) ثم اخترق نابليون بعد ذلك نهر الدانوب وحارب فى واقعة لم تكن نهائية ذلك بأن النمساويين كسروا الكبرى من ورائه بأن ألقوا كتلا كبيرة من الخشب في النهر فاضطر نابليون أن يحمي جيشه في جزيرة مدة ستة أشهر

واقعة واجرام ٥ يوليه سنة ١٨٠٩

كان اليوم يوما عبوساً قمطريراً أرعدت السماء فيه ارعاداً أسكت أصوات المدافع ووقف الناس ولدانا وشيباً فوق سطوح المنازل في فينا وقد ملك الرعب قلوبهم حتى كاد الاصفرار يتدفق منها وهم ينظرون الى ملتحم الجيشين وقف أربعمائة ألف من الارواح في حومة الوغى حتى اذا انتصف النهار سقط قلب الجيش النمساوى وتشتت فلما رأى الامبراطور النمساوى ذلك وكان يشاهد تلك المناظر المفزعة من جبل بجوارها فقد رشده فحول بصره عن مشهد الدماء والهزيمة وغادر مكانه الى حيث أراد

بذلك انقضت الموقعة العظيمة ثم عقد صلح يعرف بمعاهدة شونبرون التى نال فيها نابليون أرضا عليها مليون من النفوس

ثانى زواج لنابليون سنة ١٨١٠

لم يكن نابليون ليريد من هذا النصر أن يقضى على النمسا وعائلة هابسبرج الحاكمة بل شاء لها البقاء وشاء لنفسه أن يتصل بها رغبة منه في أن يكون نسبه

متصلا ببيت ملكي فطلق امرأته الاولى جوزفين زوجته المخلصة لانها لم تكن من بيت امبراطوري ولم تكن تلد ثم تزوج بمارى لويز ابنة امبراطور النمسا على أمل أن تلد له ولداً وقد حقق الله أمله فانه لم تمض سنة على زواجهما حتى ولدت له في مارس سنة ١٨١١ ولداً سماه ملك روما ولكن لم يقدر الله لذا الملك أن يقبض على صولجان الملك فانه عند سقوط أبيه أخذه بيت هابسبرج وظل فيه حتى مات في سنة ١٨٣٢

القبض على البابا سنة ١٨١١

قبل زواج نابليون بسنة حدثت حادثة في روما من أغرب ماروى التاريخ وذلك أن نابليون لما ضم الى سلطنته الواسعة أملاك البابا وكانت قبل ذلك مستقلة أصدر البابا منشوراً قضي بحرمان نابليون من الكنيسة فلم يهتم نابليون بهذا القرار الصارم الذى كان أفظع مافي يد الباباوات من ألات الانتقام . وأتي بما هو أنكى وأشد فانه أرسل الى روما بعضا من رجال الجندرمة تسلقوا جدران سراى البابا وأخذوه منها في الليل أسيراً الى فرنسا فأبقاه نابليون فى فونتبلو

ذروة مجد نابليون سنة ١٨١١

في هذه السنة بلغ نابليون ذروة المجد فقد امتدت الامبراطورية الفرنسية من حدود الدانمرك الى حدود مملكة نابلى فكان على هولانده ملك من أهل نابليون وآخر على نابلى وثالث على واستفاليا وكان أخوه يوسف ملكا على اسبانيا وكان برنادوت أحد قواده العظماء ملكا على السويد

وبما أن نابليون كان حامى جمهورية الرين فقد كانت ولايات ألمانيا طائعة له

وكانت النمسا وبروسيا أطوع اليه من بنائه بعد ماأصابهما من الخذلان المتوالي كما أنه كان حامياً أيضاً للجمهورية الهلفيتية التي أدخل فيها أقاليم سويسرا أما الروسيا فكانت محالفة له

كل هذه الامبراطورية الواسعة كل هذه السلطنة العظيمة لم تمض عليها أربع سنوات حتى تبدلت فكأنما هي لم تكن وقسم لنابليون من قصوره العظيمة ومنازله الواسعة منزل صغير ذوحديقة صغيرة على صخرة في جزيرة صغيرة من المحيط الاطلانطيق العظيم فسبحان مذل الملوك

أفول نجمه

غزو الروسيا سنة ١٨١٢

كانت الروسيا قد اتفقت مع نابليون على أن لاتعامل انجلترا ولكنها نقضت ذلك العهد فشاء نابليون أن يقتص منها جزاء ذلك فجهز اليها جيشاً يبلغ عدده نصف مليون وسار الى الروسيا بالرغم من نصيحة الناصحين فاخترق بجيشه نهر نيامن وتقدم صوب موسكو وكان جيش الروس يربى على ثلاثمائة وستين ألف مقاتل ولكن هؤلاء لم يعتمدوا على قوتهم وسلاحهم كما اعتمدوا على برودة الطقس فى بلادهم فنشأت بينهم مواقع ليست بذات شأن كبير كانت الخسارة واقعة فيها على رؤوس الروس ولم يزل نابليون يتقدم بجنوده نحو مدينة سمولنسك حتى ضربها بمدافعه ولكن لم تكن المقذوفات تؤثر فيها ففر أهلها عنها ثم دخلها نابليون فلم يجد بها مأوى فتقدم بعد ذلك الى موسكو وحدثت بينه وبين كوتوسوف القائد الروسي موقعة برودينو

(٧ سبتمبر) ظلت من اول النهار الى منتصف الليل وكان عـدد كل فريق يربي على مائة وثلاثين الفا من الجنود وانتهت الموقعة بانسحاب الروس الى الشمال صوب موسكو بعد أن قتل في هذه الموقعة ٩٠ الفا أويزيدون

حريق موسكو في ١٤ سبتمبر سنة ١٨١٢

مضى اسبوع على موقعة برودينو ونابليون لايجد لعسكره مأوى بعد اذ أصاب الروماتزم أرجلهم فسارع في السير الى موسكو ولم يكد يري الجند مآذنها العالية وقد اتصل بعضها ببعض في سلاسل مذهبة حتى هللوا فرحا وكانت المدينة عند مادخلوها هادئة ساكنة لاأثر للروس فيها ولـكن شبت في الليلة الثانية من بقائهم فيها نار حامية وشبت ثانية وثالثة حتى اصبحت كانما هي اتون عظيم. فلم يستطع نابليون المقام فيها فعاد منها الي مدينة كريملين وبقى بها قليلا وأرسل الى القيصر يطلب الصلح معه فابي القيصر ذلك فلم يجد نابليون بعد ذلك بداً من العودة الى فرنسا على عجل

العودة

ابتدأت عودة نابليون الى فرنسا في التاسع عشر من شهر اكتوبر سنة ١٨١٢ فتبعهم الروس من الوراء وظلوا يناوشونهم ولـكن لم يكن السوء كله ناشئاً عما فعلوا بل عما بلتهم به الطبيعة يومئذ من زمهريرها وثلجها فقد كانوا يسيرون على أرض مغشاة بالصقيع ثم يهطل عليهم الثلج من كل جانب فيوقفهم في مكانهم لايتحركون بل كانت الصفوف تخترق الصفوف هذه متحركة الى أجل وتلك جامدة بعد ذلك الاجل ومازالوا كذلك ينقص البرد من رجاله والجوع

من خيله حتى نزل بمدينة سمولنسك فوجد فيها مطعماً قليلا ومرعي ضئيلا على شاطىء نهر بريسينا هنالك قطع عليهم خط الرجعة اذا جاءهم الروس من أمام هذا النهر وناوشوهم فقتلوا منهم وأغرقوا أربعة وعشرين ألفاً فلم يسع نابليون بعدها الا أن يسافر هو الى باريس على زحافة فوصلها ووصل الجند بعده لم يبق منه الا بضع آلاف أهلكهم الجوع والبرد

هلك من جنود نابليون في هذه الحملة المشئومة مائة وخمسة وعشرون ألفاً في ميادين القتال ومثلها نصبا وجوعا ومائة الف أخذوا أسرى . منذ ذلك الحين أفل نجم نابليون

واقعة ليبزج ١٨١٣

عاد نابليون الى باريس في منتصف ليلة الثامن عشر من دبسمبر وكان يعلم أن أوربا كلها متحفزة للوثوب عليه فسرعان ماجمع حوله جيشاً يربي على ثلاثمائة وخمسين ألفا من الرجال في أربعة أشهر - ثم نشأت حروب اشتركت فيها أوروبا ضده حتى أن برنادوت نفسه وهو الذي جلس على عرش السويد بفضل نابليون انضم الى هذا التحالف وكان نهر الالب مشهد تلك الحروب ففاز نابليون بالنصر فى موقعتى لوتزن وبوتزن فى شهر مايو سنة ١٨١٣ ولكنهما لم توقفا أوروبا عند حدها بل جرأتهم خسارته الاولى على استمرار الحرب فاجتمع مندوبو الدول فى مدينة براج وقرروا أن تترك النمسا جانب نابليون ثم استمروا فى الحرب واقعة بعد موقعة حتى قاتل نابليون الواقعة الاخيرة واقعة ليبزج هنالك وسط القتال خانة عشرة آلاف من السكسونيين فتركوا مواقعهم وانضموا

الى أعدائه وبذلك انقطع خط السير الذي رسمه نابليون (١٨ اكتوبر) فضاع النصر على الامبراطور

غزو فرنسا

عزمت الدول على غزو فرنسا فساروا بجيوشهم نحوباريس وكان ولنتجون القائد الانكليزي في الجنوب فجمع نابليون كل ما كان لديه من قوة وذكاء واستعداد فطرى فكان مجموع ماجمعه من العساكر لايزيد عن مائتى ألف رجل وكان قد خان عهده كثير من ضباطه حتى نسيبه مورات . تقدم جيش اوروبا المتحالف نحو باريس فخرج اليهم نابليون يقاتلهم فانتصر عليهم في عدة وقائع كادت تقضى على آمال أوروبا جميعاً واستمر كذلك شهرين كاملين تزداد القلوب فيها وجلا من الاندحار حتى غلط نابليون غلطة كانت القاضية وذلك أنه أراد أن يهاجم مؤخرة جيوش أوروبا ففعل وكان قصده من ذلك أن ينزل الرعب فى قلوبهم ولكنهم أسرعوا الى الامام فدخلوا باريس من غير تعب وكان تسليمها على يد القائد بارمونت

نفى نابليون الى جزيرة البا

دخل ألبراطرة عاصمة نابليون يمشون فيها ريحة وجيئة وكان نابليون بعيداً عنها فلما وصلها ذهب من فوره الى فونتينبلو . وبعد ذلك بيومين أصدر مجلس الشيوخ قراراً بعزل نابليون ثم أمضى نابليون اعلان نزوله عن ملك فرنسا وايطاليا فى الرابع من شهر ابريل وفي العشرين من ذلك الشهر وقف نابليون وألقي على بعض جنده خطبة وداع مؤثرة أسبلت دموع الحاضرين

وصعدت زفراتهم ثم غادرهم بعد ذلك الى فريجوس ومنها نقلته مركب انجليزية الى جزيرة البا الواقعة في البحر الابيض المتوسط فى مياه ايطاليا العليا بالقرب من شواطيء تاسقونيا وقد حفظ لنابليون لقب الامبراطور ومنح مرتباً سنويا قدره ستة ملايين من الفرنكات ولم يكد نابليون يستقر فى البا يومين حتى توفيت زوجته المخلصة جوزفين فلما بلغه نعيها حزن عليها حزنا كثيراً

عودة البربون الى فرنسا

بعد نفي نابليون الى جزيرة البا رأت الدول أن تعيد عائلة البربون الى فرنسا فعادوا اليها وجلس على عرشها لويس الثامن عشر أخو لويس السادس عشر الذي من أجله قامت الثورة الفرنسية والذي قتله الوطنيون فى شوارع باريس . عاد هذا الملك الى عرش فرنسا وعادت تلك العائلة ومبادئها الاولى

لم يتعظ بما اصاب أخاه من قبل بل أذن فى البلاد بأن أملاك هذه العائلة يجب أن ترد اليها وكان قد امتلك أكثرها كثيرون آمنين هادئين . فقام الشعب لذلك وقعد فلما رأى الملك ذلك أراد أن يهدئه فأصدر قراراً ضمن لأمته به ثمانية امتيازات عدها هبة من لدنه بيد أن هذا الشعب لم تهمه هذه الامتيازات ولم تكبر الملك في عينيه لانها كانت مقررة من قبل فلم تكن الامن قبيل تحصيل الحاصل وتلك الامتيازات هى :

المساواة أمام القانون - حق الدخول في الوظائف - وحدة الادارات

حكومة دستورية ـ الضريبة لاتقرر الابالاقتراع ـ الحرية الشخصية ـ حرية العبادة ـ حرية المطبوعات

البنفسج المتجسد

انتشرت في هذه الاثناء جنود نابليون متفرقة فى بلدانهم وقراهم وانتشرت فئات الجنود الأوروبية الغرباء فى مدنها فتذمر الاولون وقالوا ان فرنسا لاتستطيع أن تطعم أولئك الجنود منها بلا عمل يؤدونه لها ولايصح أن يظلوا يأكلون وينامون بين العيون الساهرة من أبناء جلدتهم وتذكر الناس بأفعال الملك الجديد مصايب العهد القديم فانتشرت في فرنسا جميعها نبوة غريبة ذلك أنهم قالوا انه اذا جاء ربيع هذا العام ظهرت في البلاد زهرة بنفسج في صورة انسان فأخذ الناس يتوقعون ظهور هذا البنفسج الغريب على أنه لم يكن الامر الافتة تدبر لم يحن أوان اشتعالها فكانت مغطاة بأوراق ذلك الزهر اللطيف لفظا ومعنى فقد اتضح أن النساء كن يتزين بهذا البنفسج فاذا فتشت أوراقه ظهر من تحتها صورة الامبراطور نابليون المحبوب

قضى نابليون في جزيرة البا حوالى عشرة أشهر (من ٣ مايو سنة ١٣ الى ٢٨ فبراير سنة ١٤) وكان حوله من عساكره الاقدمين فئة تستحب الموت في سبيل رضاه وكان يصل الى هؤلاء من أقاربهم في فرنسا ماينبئهم بقرب اليوم المنشود فكانوا يبلغون ذلك الى نابليون فاشتد تفكر نابليون بهذا الامر وأخذ يدبر للأمر عدته

مؤتمر ڤينا فى سنتى ١٨١٤ ـ ١٨١٥

بعد نفي نابليون الى البا أرسلت الدول مندوبيها الى مدينة ڤينا لحضور

مؤتمر ينظر فى طريقة اعادة الامن والنظام الى نصابهما فى أوربا فقضوا لذلك أشهر الشتاء لم يفعلوا شيئا بل المروى عنهم أنهم كانوا يقضون الليل فى الرقص مع الحسان ومعاقرة بنت الحان ثم اذا جاء الصبح ذهبوا الى حيث يتكلمون وظلوا كذلك حتي جاءهم نبأ بأن نابليون قدعاد الى فرنسا فصرخوا فى المكان صرخة مدهشة كادت توقع جدران ذلك المكان

عودة نابليون الى باريس مارس سنة ١٨١٥

فى صباح يوم من أيام مارس سنة ١٨١٥ ركب نابليون زورقاقام به من جزيرة البا الى ناحية بجوار بلدة (كان) على الشاطىء وكان معه من رجاله الاقدمين ستمائة رجل وانضم اليهم ربعمائة من أهل بولانده وكورسيكا فلما بلغ مدينة جرينوبل انضم اليه سبعمائة من جنود لويس الثامن عشر. وكان هذا الملك قد سمع بهروب نابليون فأرسل اليه المارشال (ناي) أحد قواد نابليون المشهورين «وأشجع الشجعان» كما كان يسميه نابليون نفسه ذهب المارشال لملاقاة نابليون وأسره فى قفص من الحديد كما وعد بذلك الحكومة الفرنسية ولكنه اذ رأى وجه سيده المحبوب ورأى الجيش الذى معه يضطرب ويهز أجزاء السماء بدعائه Vive l'empreur (يحيي الامبراطوري) لم يسعه الا ان يردد الدعاء مع الجنود. وقصة هذا الدعاء أنه لما التقى نابليون بهؤلاء الجند وعلم أنهم انما أتوا للقبض عليه وقف أمامهم على ظهر جواده ثم قال «ياعساكر أوسترليتز وأبطال أوربا هل جئتم لتقبضوا على قائدكم» قالوا جميعاً بصوت المتحمس «ليحي الامبراطور» ثم نادي عليهم نداءه المحبوب

واجتمعوا وراءه في مشهد عظيم حتي بلغوا باريس في ليلة العشرين من شهر مارس وكان الملك لويس قد غادرها قبل وصولهم بساعة

هنالك بين صهيل الخيل وصلصلة السيوف وجر العربات تقدم نابليون في عربة حتى وصل الى قصر التوليرى فصعد الى غرفة المطالعة وهناك أخذ يباشر الاعمال كعادته كانما كان فى فسحة قصيرة ثم عاد الى العمل . هنالك أخذ يشتغل ليل نهار بعزيمة لم يعرف لها حد ولكن نابليون كان يستعد للزمان أخذ نابليون يفحص ماجد بعده ويدقق البحث ثم وافق على القرار الذى أصدره لويس ثم لم يدخر من وسعه شيئاً ولم يضع من زمنه لحظة من غير عمل لتجهيز جيش جرار تجمع حوله مئة وعشرين ألف جندى للحرب

واقعة واترلو

قضي نابليون مائة يوم في باريس قبل أن تستطيع أوروبا جمع شملها وأخيراً حشدت أوروبا مليونا من الجند لمقاتلة جنود نابليون

فرأى نابليون أن ينقض على جيش بروسيا وانجلترا فى أراضى بلجيكا ثم يتوجه بعد ذلك لمقاتلة باقي الجيوش على شواطىء الرين فسار بجيشه الى (شارل روا) فالتقى بقائد الجيش البروسى ومازال به حتي أجلاه عن مواقع القتال وانصرف الى الجيش الانجليزي فأصلاه ناراً حامية حتى لم يبق من جيش ولنجتون الامعدود اضطر أن يصفه أفراداً متباعدة جداً وعند ساعة النصر لنابليون بل عند ماابتدأت الهزيمة تقع في النهاية على رؤوس الانجليز التفت نابليون فاذا جيش بلو تشر البروسى قد عاد من الوراء يعزز

أفراد الجيش الانجليزى فعلم نابليون أن هزيمته محققة وانه لاشك مقهور فترك ميدان القتال وركب مركباً انجليزيا وعاد الى باريس وهناك أمضي وثيقة النزول عن الملك لابنه (ملك روما) فى الثاني والعشرين من شهر يونيه ولكن جيش المتحدين أبي أن يقرها فألغاها وأعاد لويس الثامن عشر الى الملك في السابع عشر من شهر يوليه

التسليم

أسرع نابليون بالرحيل الى (روشفورت) يقصد السفر الى امريكا ولكنه لم يستطع ذلك لان المراكب الانجليزية كانت تراقب الشواطىء . فى الخامس عشر من شهر يوليه ركب نابليون سفينة انجليزية تسمي (بللروفون) أوصلته الى بلدة توربای من بلاد انجلترا وهناك أبلغه قبطانها أن الحكومة الانجليزية قضت له بالنفي الى جزيرة سنت هيلانة

سنت هيلانه

وصلت السفينة (نور ثمبرلند) بنابليون الى هذه الصخرة القائمة فى بحار المحيط الاطلسى فى الخامس عشر من شهر اكتوبر وهناك قضى الامبراطور العظيم ست سنوات كان فيها كثير القراءة كثير التفكير وكان حارسه فى هذه الجزيرة (السير هدسون لو) شديد المراقبة عليه كثير الاهانة له حتى قضي نحبه في الخامس من شهر مايو سنة ١٨٢١

فدفن الى جانب غدير صاف كانت تظلله أشجار الصفصاف والسرو وتظل نابليون من حر تلك الجزيرة وبقيت جثته هناك حتى قامت بعثة من فرانسا

نابليون في واقعة واجرام

لنقله الى الوطن الذى حن اليه وأوصى بنقل جثه اليه « بين الامة الفرنسية العزيزة التي أحبها حباً جماً »

ذهبت هذه البعثة في شهر اكتوبر من سنة ١٨٤٠ فحملته الى فرانسا حيث أقيم له مأتم لبس فيه الناس عليه الحداد

وقد اخذ لنقل الجثة من ميناء الهافر الى باريس خمسة أيام وذلك لان فرنسا كانت تحتفل بها في كل مكان وصلته وقد بلغ من حب الناس له انهم مع علمهم بموته لم يشاؤا الاأن يقولوا Vive l'empreur ليحيي الامبراطور ايذانا بأنه حى فى قلوبهم على الدوام وانه ماعجل بموته الامافعلته به انجلترا حتي حرمت عليه رؤية زوجته وابنه الوحيد من يوم سفره فقضوا للرجل الا أن يموت بعيداً عن فلذة كبده ومشتكي حزنه قبل أن يلم به المشيب

الفصل الاول

نابليون عن نفسه

قال نابليون

« قد كنت أنفق ساعات لعبي فى العمل ولقد طالما قضيت الليل أفكر فيما ألقى علىّ من دروس النهار ذلك بان طبيعتى لم تكن تحمل أن يكون غيرى المبرز في فرقتى »

« انى لارجو والسيف فى محملى وديوان هوميروس فى جيبى ان انحت سبيلى فى هذه الحياة »

ولما كان نابليون فى مدرسة برين كان اخوانه فى المدرسة يقللون من شأنه فدعاه ذلك الى ان دعا أحدهم للمبارزة معه فلما علم ناظر المدرسة بذلك حبس نابليون فى سجن المدرسة عقاباً له فكتب نابليون الى الناظر خطابا لم يسعه بعده الا أن أطلق سراحه . وهذا تعريب الخطاب

« سيدى » — لن أعمد الى تهدئة ما فى نفسى من سورة الغضب مهما كان فى ذلك من الخطورة لانى أعتقد من صميم قلبي أن داعيه شريف مقدس انى لا أطيق أن أرى أبى المحترم يهان أمام

عيني — ولو اعترضت المصلحة وقامت القوائم . وانى لأحس ان فى الشكوى الى الرؤساء من مثل ما رأيت ضعة وذلة وان الولد الجدير بالبنوة جدير أن يثأر لنفسه اذا أصابه مثل ذلك »

« ما أكثر ذكرات الصبا عندى كلما خلا فؤادى من التفكير فى الامور السياسية أو فيما يصيبنى من يد ساجنى (السير هدسون لو) على هذه الصخرة . هنالك أفكر فى حياة الانسان وهنالك تمثل لى فكرتى الاولى وهى أننى كنت أعيش أسعد الناس اذا كان لى دخل قدره خمسمائة جنيه فى العام أعيش بها عيشة والد بين زوجته وبنيه فى منزلنا القديم فى أجا كسيو

انك يا منتلون تعرف هذا المنزل وتذكر حسن موقعه لقد طالما أفقدت بستانه الجميل أبهى ما كان فيه من عناقيد الكرم أيام تجرى أنت ورفيقتك پولين فى نواحيه تقطفان منه ماشاءت طفولتكما ما أسعد هذه الاوقات ! أن للوطن لسحراً خالدا تمقه الذكرى بازهى ما يستميل القلوب حتى الى طيب ثراه ذلك الثرى الذى نال من كل حاسة نصيبا حتى ليكاد الانسان وعينه مقفلة أن يعرف أين دبت قدمه من ذلك المكان فى زمان الطفولة

انى الى اليوم أذكر وأنا جمّ العاطفة كيف مشيت بجوار پاولى ذلك الامير العظيم حينما ساح فى جزيرتنا . هنالك كنا خمسمائة من أبناء أرقى أهل الجزيرة فى معيته ولقد كنت أشعر بصلف اذ مشيت بجواره وكان يرينى ، كما يرى الوالد ولده ، تلك المآزق التى جاهد فيها مواطنونا الكرماء ، فى سبيل استقلال البلاد . أما والله ان أثرها ليزال يرن فى صدري »

وكتب الى الاستاذ رينال من خطاب فى سنة ١٧٨٦

« أرانى من الكتاب وان لم أعد الثامنة عشرة من العمر تلك السن التى يجب على المرء فيها أن يتعلم . افترى جرأتى هذه مستوجبة هزؤك ؟ اذا كان العفو دليلا على سمو الحجى فقد وجب أن يكون عفوك عظيما . انى باعث لك بالفصلين الاول والثانى من كتاب أردت ايداعه تاريخ كورسيكا . ومرسل اليك معهما محصل الباقى . فان راقك ما أفعل استمررت وان نصحت لى بالوقوف انقطعت »

وكتب الى والدته فى خطاب تاريخه ١٧٨٩

« ليس لى منزع الا العمل فأنا لا أرتدى ثيابى الا مرة فى كل ثمانية أيام وترينى لا أنام منذ مرضت الا قليلا . أذهب الى

مخدعي في العاشرة من الليل وأفيق في الرابعة من الصباح . اما طعامي فأتناوله مرة في اليوم وذلك في الساعة الثالثة وقد وجدت ذلك مفيدا لصحتي »

وكتب الى أخيه يوسف في ٣ يوليو سنة ١٧٩٢

« كل يعمل لنفسه ويود أن يرقى في الناس بالمين والوشاية ولقد رأيت الناس في هذه الايام أمشي بالدسائس وأسعي فيها منهم فيما مضي فليت شعري الا يقضي هذا على الاماني والامال أني لاشفق على أولئك الذين يقتادهم سوء الحظ الى ان يمثلوا في الوجود دوراً ما كان اغناهم عن تمثيله. لئن عاش المرء في هدوء تحفه محبة أهل بيته له ـ اذا كان له ايها الاخ اربعة آلاف من الفرنكات ـ لقد كان له من امره رشد . كما انه يقتضي للمرء ان يكون بين الخامسة والعشرين والاربعين من العمر لتقصر تخيلاته فلا تعود تشقي فؤاده. اني اعانقك واوصيك بالاعتدال اذا اردت ان تعيش هانئاً »

وقال نابليون في خطاب الى اخيه يوسف

« ارانى في كل وقت من أوقاتي كما يكون الرجال ليلة موقعة عظيمة وذلك لاني معتقد من صميم فؤادي انه اذا طاح الموت بين

الجموع يفصل بين الامور ويقضى كان من الجنون ان يضطرب له القلب أو يهتم به الوجدان . خلقت ثبتا أقابل المقدور بشجاعة وساظل كذلك الا اذا بدّل منى »

« دعانى شبابى أيام رأست جيش فرنسا فى ايطاليا ان أكون على جانب عظيم من التحفظ فيما يبدو من أخلاق وان ارعى شرائط الآداب جد المراعاة ولولا ذلك ما استطعت أن أبسط سلطتى على رجال أكبر منى سنا وأكثر تجربة . أجل فقد اختططت لنفسى سيرة لو محصها متعمد . ماوجد فى غضونها غبرة . لقد كنت فى الخلق الرفيع مثالا كما كان « كاتو » بين الرومانيين ولاشك ان الناس كانوا يرون ذلك منى كما انى كنت فوق ذلك كالفلاسفة والصالحين . كيف لا وأنا لاأستطيع أن احتفظ برفعتي الا اذا ظهرت فى الجيش خيراً من أي رجل فيه . لو اننى ملت مع النفس فى ضعفها لاضعت سلطتى وفقدت سطوتى »

وقال فى خطاب الى أخيه يوسف

« أريد الوحدة والعزلة فقد أنضانى المجد وأتعبنى : غاض معين

الشعور وأصبح النصر لا طعم له. يالله مالى ولم أعد التاسعة والعشرين قد بلغت النهاية . . . »

وقال فى خطاب الى چوزفين

« اقطع فى اليوم عشرين أو خمسا وعشرين مرحلة بين ركوب عربة وامتطاء جواد . أنام فى الساعة الثامنة واستيقظ للعمل فى منتصف الليل »

« أنا دائم الشغل كثير التفكير فاذا رأى الناس أننى مستعد فى كل وقت لتدبير ماتخلقه الظروف من عاجلات الامور ولحل عارضات المسائل فذلك لانى قبل أن أشرع فى أى عمل من الاعمال أكون قد فكرت فيه وتدبرته وتبينت ماقد ينشأ عنه فلا تحسبن انه الذكاء يملى على ماأقول وافعل اذا حدث أمر لم يكن فى الحسبان كلا بل هو التفكير والتدبير . انى دائم الاشتغال ، اشتغل على المائدة وفى قاعة التمثيل وغيرها وأفيق فى الليل لكى أعمل عملا »

وقال وهو فى جزيرة سنت هيلانة

« الجد والكد من عناصرى ، لقد عرفت حداً لعينى وساقى ولكنى لم أستطع أن أعرف لمقدرتى على الشغل حداً

« قدرت ثم خلقت للعمل . . . لا لأمسك بفأس ولا معول »

« لا أعرف حداً لما أستطيع أنجازه من الاعمال »

« لقد ضاعفت من نفسي بنشاطى »

« انى على الدوام فى حالة واحدة . ان من كان مثلى لا يتغير »

« مثلى من الرجال لا يبطل جهده حتى يوارى فى قبره »

« لا أستطيع أن أكتب حسنا لان عقلى مشتغل بشيئين فى حين واحد . أفكارى من جهة وخطى من جهة أخرى . ولا تزال تستبق حتى تسبق فاذا الخط من الآراء فى مكان سحيق . . . لا يمكننى اليوم الا أن املى ما أريد فضلا عن سهولة هذه الاملاء فانها عندى كما يكون الحديث بينى وبين الناس »

« ان حضور ذهنى بعد منتصف الليل لحضور تام حتى اذا أفقت من نومى بغتة لحادثة من الحوادث كنت كأنما لم أكن نائما فلا العين يبدو عليها أثر الفتور ولا ذهنى اذا أمليت ينم عن أننى كنت قبل ذلك فى سبات »

« تذكر أن الكون قد خلق فى ستة أيام . اطلب منى ما تشتهى

الا الوقت . فانه الامر الوحيد الذى لاتصل اليه يدي »

« انى لاشعر باللانهاية فى نفسى »

« وهبنى الله القوة والارادة لتذليل كل عائق »

«انى لاأجهل طريقة صنع شيء مما احتاج اليه فاذا لم أجد من يصنع بارود المدفع صنعته بيدى »

« بلغت المجد خطوة فخطوة »

« فطريّ فى نفسى ان أرأس وأقود »

« جعلتنى الفتوحات كما أنا، وهى وحدها التى تحفظ لى هذه المنزلة »

« ان رأيي اذا أردت أمراً أن أقصده ، لاتعوقنى عنه الاعتبارات ولا تقصر من جهدى حياله »

« لاتبلغ الغايات الا بالعزم والمثابرة »

من الناس من يعزو جلائل النجاح الذي نلته الى حسن حظى والتوفق فقط ولكنهم اذا ذكروا ماأصبت من الخذلان قالوا أنه لاغلاط اقترفتها ، على أنى اذا قدمت عن نفسي حسابا علم الناس

انني فى الحالين انما كنت أعمل بقلبي وفؤادى طبقا لمبادىء أعرفها »

« انه وان كان البوربون والانكليز يسلمون بانني قد عملت بعض ما يسمي عملا صالحا فانهم يعزونه الى وساطة چوزفين على أن چوزفين لم تكن تتداخل في الامور السياسية »

وقال فى خطاب الى مادام بورين

« لاتحسبي ان المقام العالى الذى استبحته قدغير من قلبي نحوك فليست قيمتى بالعرش ولا الملك انما قيمتى بنفسى »

« أشفق ان أكون قد أتيت من الامور من غير ارادتى مالا يرتضيه العدل والانصاف بسبب اضطرارى الى تصديق الحكاية لاول وهلة ، من غير تحقق من صحتها ولا تثبت وأخشى انني لم أقض كثيراً من ديون الشكر على للناس . ماأشق رجلا لايستطيع أن يفعل كل مايجب عليه »

وقال فى خطاب الى مادام بورين

« ماسعدك . انه لا يطلب منك الظهور للناس فى مشهد أما انا فمضطر الى التجوّل بينهم فى معية وبطانة وهو امر ثقيل على نفسي

ولـكنه يحلو فى عين الشعب وبه أرضيه »

وقال فى خطاب الى أخيه الملك يوسف

«انى ماعملت يوما للحصول من الباريسيين على هتافهم ودعائهم، لاعتقادى اننى لست ملـكا من أهل التمثيل وما أخذت يوما بالعجلة والتهور فى تنفيذ أمر من أمورى لاعتقادى انه كان أمامى من الوقت ما يكفى للتأمل والتدبر ولقد طالما قلت لمجلس حكومتى ان مشروعاتى لاتتم الا فى عشرين سـنة ولـكنى لم أظفر الا بخمسة عشر فقط »

« اذا سلمت اليوم بأمر طلب منى غيره غدا ومثـله بعد ذلك حتى اذا التفتّ لنفسى وجدت ان عملى انما كان لاخدم به ملك بروسيا»

« لقد تعودت اسـتماع أنباء الخطوب حتى أصبحت لا أتأثر بالفادحة حين يتلي علىّ نبؤها وكذلك دأبى فانه مهما يذكر لى من مصابها ونوازلها لا اهتم له فى حينه فاذا انقضت بعـد ذلك ساعة من الزمان فهنالك أشعر بوقعها »

« لو اننى عدت للحكم مرة أخرى لفعلت كما كنت أفعل أعنى اننى كنت أنظر الى لامور فى مجملها لا فى تفاصيلها »

« قد آن لى اليوم أن أمثل دور الملك بعد اذ مثلت دور الجندي زمانا طويلا »

« انى وان أكن أصبحت ملكا لم أنس اننى وطني »

وقال لجوزفين

« أريد أن أعيش فى هدوء فان لى اهتماما بكثير من الامور غير الحروب ولكن الواجب قد غشى كل شيء حتي لقد ضحيت راحة بالى ومصلحتى وسعادتى فى حياتى كلها للقيام بهذا الواجب »

« ان حربى التى شننتها على روسيا هى التى خذلتنى ولكن طريقتى فى حكم السلطنة كانت صالحة فى الجملة وعندى اننى اذا عدت للملك ما تخيرت سواها »

وقال فى سنة ١٨١٣

« انى لاموت تحت انقاض عرشى ولا أسلم لهم بسلخ ممتلكات فرنسا منها فالطخ بذلك شرفى بين العالمين »

« ما غلبنى سوء طالعي بمثل ما غلبتنى أنانية رفقائى فى الجيش وقلة شكرانهم »

« اني لاحسد ادنى فلاح فى سلطتى على نصيبه فى هذه الحياة فهو اذا بلغ سنى يكون قد قام لوطنه بالواجب المفروض عليه ثم عاد الى داره يستمتع بأنس زوجته واولاده اما انا فلزم بالعودة الى المعسكر لاكون ضمن من كتب عليهم القتال الى آخر نسمة . تلك حياتى وذلك هو المقدور الغامض »

وقال فى خطاب الى كولانكورت ايام كان منفيا فى جزيرة البا

« ليس اعتياد حياة تقاعد وهدوء بال من الصعوبة بالمكان الذى يظنه الناس ما دام للانسان من نفسه منزع الى ما يجعل وقته نافعا . انى انفق اكثر اوقاتى فى الدرس واذا خرجت متعت عينى مدة برؤية جنود معيتى الابطال . هنا تظل أفكارى صافية هنية لانها لا تخلط بتذكرات مؤلة »

وقال أيضا بعد واقعة واترلو

« سئمت الناس والاشياء على حد سواء ولم يبق لى شيء اريده الا التمتع بالراحة اما المستقبل فلا اكتراث لى به واما الحياة فانى احمل عبأها كما هى ، لا اعلق نفسي منها بوهم براق ولا بخيال ساحر ، ان بين جنبي من فرنسا تذكارات تكفيني لذة والما فيما بقى من ايام

حياتى ولكن لابد ان يرافقها على الدوام اسف قاتل وحسرة لادواء لها بسبب ما اصابنى فى ايامى الاخيرة »

« لقد لبست تاج فرنسا الامبراطورى ولبست تاج ايطاليا الحديدى أما انجلترا فقد ألبستنى تاجا أبهج منها وأفخر - ذلك هو التاج الذى لبسه منجى العالم - تاجا من الشوك . ان العسف والاهانة اللذين ألاقيها من انجلترا انما يزيدان فى مجدي واعتقد ان أبهى أسباب هذا المجد انما هو اضطهاد انجلترا لى »

وقال فى سنت هيلانه

« لاتخلو المصايب من دلائل المجد والبطولة . لقد كان ينقصنى سوء الطالع فى حياتى فلو أننى مت على العرش يحوطني من القوة جو كثيف الاديم لبقيت سراً يستعصى على الناس فهمه أما الآن فان سوء طالعي كفيل أن يساعد الناس على أبداء رأيهم فى من غير حجاب »

« ان مثلى فى أوروبا مثل محمد فى العرب . لقد وجدت كل شىء يدعو الى تأسيس سلطنة . نعم كانت أوروبا تئن من الفوضى التى انتشرت فيها وكان الناس يودون أن تبطل هذه الفوضي فان لم أكن قد أتيت لها فربما جاء غيرى وربما انتهى الامر يومئذ بفرنسا

الى امتلاك العالم جميعا واكرر هنا القول بان الرجل انما هو رجل فقط فلا عبرة بقوته اذا لم تساعده الظروف والعاطفة العامة . أنظن أن لوثير هو الذى أحدث عهد الاصلاح ، كلا بل هو الرأى العام كان ضد الباباوات . أوتظن ان هنرى الثامن هو الذى خاصم الكنيسة فى روما . كلا بل هو الشعور العام شعور أمته قد أراد هذا الانفصال»

« ماجعلت يوما للحياة عندى اهتماما كبيراً . ما كنت لاحاول - ولن أحاول - أن أزحزح قدمى فراراً من الموت »

« لو أننى مت فى موسكو لتركت من ورائى سمعة ليس لها مثيل فى التاريخ ، شهرة الفاتح العظيم . فليت رصاصة اخترقت كبدى فقضت على حياتى هناك . ولو أننى مت فى بوريدين لمت ميتة الاسكندر . ولو قتلت فى واترلو لكان موتا صالحا أبل ربما كان موتى فى دريسدن أصلح منه . كلا . بل اراه أصلح فى واترلو . هنالك كنت أموت على شيئين ، حب أمتى لى وأسفها علىّ »

الفصل الثانى

الحياة المنزلية والحب والنساء

« مهما تفعل الام فلا حق لولدها فى تأنيبها »

وقال من خطاب الى چوزفين

« وصلنى خطابك الذى تؤنبيننى فيه على سوء رأيى فى النساء أما الحقيقة التي لامراء فيها فهى انى أكره ربات الدسائس منهن . ذلك بانى لم أعتد الا رؤية السيدات الطيبات الرقيقات المؤاسيات ، أولئك أحبهن فاذا كن قد أتلفننى فذلك من خطائك لاخطائى ولكن مهما يكن من الامر فانك تشهدين انني سرت سيرة الكرم والتسامح مع امرأة عاقلة لبيبة جديرة بذلك . تلك هى مدام دى ها ترفلد فانى لما أريتها خطاب زوجها أسبلت دموعها وصاحت صيحة الاخلاص والحزن وهى تقول « بلى ذلك خطه بعينه » وقد كفانى منها ذلك . أجل لقد بلغ قولها منى صميم الفؤاد فقلت لها عندئذ « أيتها السيدة ألقى هذا الخطاب فى النار تسقط كل حجة عن زوجك » ففعلت وعادت اليها سعادتها ، وها هو زوجها الآن في امان ولو انقضت قبل ذلك ساعتان لكان زوجها اليوم ميتا . من ذلك ترين انني أحب من

ناپليون يقدم سيفه الى صاحبه ويوصيه ان يسلمه الى ولده

النساء من كانت على شاكلة النساء بساطة ومودة ودعة لانها يومئذ تشابهك وتماثلك »

« لست أرى ضرورة لاتعاب أنفسنا بوضع مشروع لتعليم الفتيات فانه لاتربية خير من تربية أمهاتهن لهن أما التعليم العام فلا يوافقهن لأنه لايطلب منهن ان يعملن عملا بين الناس. ان تربيتهن على الاخلاق الفاضلة هو الكل فى الكل . اما هن فلا يتطلعن الى شيء غير الزواج»

سألت مدام دوستيل نابليون مرة أى النساء أعظم قال « أكثرهن ولدا »

« المراة الجميلة تسر العين ولكن المرأة الصالحة تسر القلب احداهما جوهرة والاخرى كنز »

« أحر بالمحبة ان تكون مسرة لامساءة »

« ان الحب شغلة الخلىّ وضيعة المحارب ومهبط الملك »

« المحبة الصادقة هى السعادة التامة »

« لاتتم السعادة فى البيوت حتى يلين احد الطرفين للآخر »

« ان الزوج الذي يرضى لنفسه ان تقوده امرأته لقليل الاعتبار فى نظرى »

« لم أجد أقوى من الضعف يشعر ان له من القوة حمى . ذلك دأب المرأة فى كل حين »

« اذا تملك الانسان الحب تملكه الضعف »

« الحب جهالة وجنون »

« لاتستطيع النساء جميعها ان تضيع على من زمانى ساعة »

« عندى من الامور غير الحب ما أفكر فيه . انه لايستطيع رجل أن يبلغ فى الحب غاية حتى يضيع عليه كثير من المجد . لقد رسمت لنفسي خطتها فاقسم لاتستطيع أسحر عين ولا أفترطرف ، أن تحولنى عنها قيد شعرة »

« لاأظن أن قلوبنا تستطيع ان تحب اثنين فى آن واحد اننا لنخدع أنفسنا اذا حسبنا اننا نحب شيئين حبا شرعا »

« لقد ملكت القلوب كما ملكت الاقطار »

« ليست فرانسا فى حاجة الى مايعيد من شأنها أكثر من حاجتها الى أمهات صالحات »

« ان للمبادىء الاولى التى ينالها الانسان من أبويه بل يشربها مع مايرضعه من ثدى أمه لأثراً فى النفس لايمحى »

خير للنساء من تحريك لسانهن ان يشتغلن بالابرة ولاسيما اذا كان تحريك هذا اللسان فى الامور السياسية . أرى الحكومة تضيع اذا أخذت المرأة فى تدبير الشئون العامة. انه اذا رأت چوزفين يوما ان أمراً ما جدير ان تفعله الحكومة دعانى رأيها هذا الى ان أفعل نقيضه على خط مستقيم »

« يجب عليهن أن يعنين بتربية أولادهن وترتيب منازلهن لاان يشغلن أنفسهن بأمور ليس لهن بها دخل »

« ليتنى كنت تحادثت مع النساء كثيرا فانهن كن يذكرن لى مالايستطيع الرجال ذكره »

«ليس المجتمع فى فرنسا شيئا حتى تكون فيه السيدات. انهن

روح الحديث وحياة المجالس »

« أهم مايجب على الرجل اذا كان له بنون أن يربيهم تربية حسنة ولكن اذا حرم الانسان نفسه من الثروة بسببهم فانما يأتى عملا من اعمال الجنون . قد تقتصد وتجمع لهم الثروة والمال ثم لا تلبس أن ترى حوراء قد ملكت فؤاد ولدك اوسارت به نفخة بوق فاذا المال الذى جمعته لهم قد ضاع فى لمحة عين الا ان اجدر ماتهتم به فى حياتك أن تعنى بشأن نفسك »

عائلة نابليون

عن أمه

« انها لجديرة بكل انواع الاحترام كانت رأفتها شديدة - وكان جزاؤها عدلا عاقبت ام أثابت . وكانت تنظر الى الامر من جهتيه »

« ان الفضل فيما بلغت وفعلت من عظائم الامور انما هو لمبادئ والدتى وحسن أسوتها »

« رأى امى رأى سليم لاتخطىء فيه ابداً فنصائحها وتجاربها عندى لاتقدر بثمن »

« ان أمى امرأة رشيدة ملئت حكما وصوابا »

وقال عن مدام دى كولومبى وهى اول من علق بها من النساء

« كنا اطهر مخلوقين وكنا نعقد لتلاقينا اجتماعات قصيرة جميلة اذكر منها اننى اجتمعت بها صباح يوم من أيام الصيف وقت السحر فكانت كل سعادتنا فى تلك الساعة ان جلسنا نأكل أثمار الكرز »

چوزفين

« چوزفين أيتها الشريفة انى مدين لك بهنيهات السعادة التى قضيتها فى حياتى »

وقال وهو يخاطب چوزفين فى آخر اجتماع بها

« لقد كنت ياچوزفين سعيداً كاى رجل فى هذه الدنيا ولكنى اليوم وقد تكاثفت فوق رأسى سحائب من الهم لا أجد لى سواك ملجأ »

وقال وهو يودع چوزفين قبل سفره الى جزيرة البا

« ان سقوطى لعظيم ولكن ربما كان نافعا كما يقول الناس انى سأجعل القلم فى عزلتى مكان السيف فاسطر به تاريخ حياتي وسيرى الناس انه عجيب . لم ير العالم مني حتي اليوم الاجانب طلعتى ولسوف أريهم

تقسى فى تمامها فكم من أمور خافية سأكشف عنها الغطاء . . . .
الوداع ياجوزفين أيتها العزيزة ، تجلدى كما أنا متجلد ولا تنسى الذى
لم ينسك ، ولاهو ذو قدرة على نسيه لك . الوداع الوداع ياجوزفين »

وقال بعد تخليه عن الملك فى المرة الثانية

كل شىء هنا يهيج فى نفسى آلام الذكرى ، هـذه الدار أول
شىء ملكته ، اقتنيتها بمال حصلته بكدى . لقد كانت دار السعادة
كلها . اين التى كانت نور هذا المكان وجوهرته . لقـد غلبنى الدهر
عليها وقتلتها المصائب التى نزلت بى . ما كنت اظن منذ عشر سنوات
انني سأجد فيها يوما من الايام حمى من أعدائى »

« كم موقعة تطلبت لنفسى فيها الموت فلم أجده . واليوم لو جاءنى لهللت
له فرحا واغتباطا . غير انى اريد ان أرى جوزفين مرة أخرى (١٨١٤) »

« كانت جوزفين مخلصة لى . كانت تحبني حبا ممزوجا بالحنو .
لم يكن لانسان غيرى فى قلبها مكانة فوق مكانتى . نزلت منـه أعلى
منزل ونزل اولادها بعد ذلك . على انها كانت محقة في كل حبها لى
لانها هى المخلوق الذى احببته اعظم الحب حتى لتزال ذكراها مجددة
فى فؤادى عاملة فى قلبى . كانت جوزفين ظرفا مجسما وكان كل شىء

تفعله يدل على هذا الظرف . لم أرها مدة عشرتي معها قد عملت شيئاً بغير تلطف ولا رشاقة. كانت تجعل هندامها كاملا وتخفي مظهر العمر بحسن ذوقها في التجميل »

مارى لويس

« كان حكم مارى لويس قصير الأمد ولكنها نعمت به لان العالم كله كان تحت اقدامها »

« اني اذا افقدت الامبراطورة لااتزوج »

المقارنة بين چوزفين ومارى لويز

« كانت الاولى الرقة والفن وكانت الاخرى الطهارة والبساطة لم أر من تلك في أى وقت من اوقاتها الا الجميل الساحر حتى لا يستطيع الانسان ان يري عليها غبرة يؤاخذها عليها . كانت اذا طالعت طالعت لتسر وتبهج واذا حاولت أمرا بلغته من غير ان يبدو لاحد أنها تحاول هذا الامر . وكان كل ما احتوته الفنون من دواعى لفت الانظار آلة فى يدها تستفيد منه ولكن كان كل ذلك خفيا لا يكاد يلمسه النظر الا توهما »

أما الثانية فلم تكن تتصور ان فى الوجود امرأ ينال بالحيلة .

كانت چوزفين قريبة من الحق دائما سريعة الى النفى فى البوادر أماماري فكانت لاتعرف التصنع ولا الرياء . لاتعرف من الامور مختلط السبل لم تطلب الاولى شيئا ولكنها كانت مدينة هنا وهناك وكانت الثانية لاتتردد فى الطلب اذا هى أنفقت كل مافى يدها على أن ذلك لم يكن الا نادرا . لم تأخذ شيئا الا وشعرت بضرورة مقابلته بالجميل فى حينه . كلتاهما طيبة القلب حلوة الشمائل مخلصة لزوجها ومحبة »

« اظن أنى وان اكن أحببت مارى لويز باخلاص قد احببت چوزفين اكثر منها . ذلك امر طبيعي فقد نشأت معها وكانت لى بعد ذلك زوجة صالحة بل هى الزوجة التى اخترتها ..... كانت مارى من الاخلاص بقدر ماكانت چوزفين من السياسة كانت چوزفين تبدأ القول بالنفى حتى يكون لها من وراء ذلك متسع من الوقت للتفكير والنظر ثم كانت تستدين كثيراً وتحملنى دفع هذه الديون . كانت لها فى كل شهر حلفة على أن تقتصد . وهناك تلقى علىّ ماكان يجمّ فى فؤادها . كانت باريسية بالمعنى الصحيح . ما كنت لافارقها لوأنها ولدت لى ولدا ولـكن بذلك قضى سوء الحظ »

وقال لمنتلون فى صباح اليوم السادس والعشرين من شهر ابريل سنة

١٨٢١ وهو فى سكرات الموت بعد موت چوزفين بسبع سنوات تقريبا

« قد رأيت چوزفين يامنتلون فعانقتنى ثم اختفت فجأة حين اردت ان اعانقها كانت جالسة على ذلك المقعد وكأنى رأيتها امس مساء لم تتغير بل كانت كما هى شديدة الميل الىّ . قالت لى انا على وشك ان نجتمع ويرى بعضنا بعضا ثم لن نفترق بعد ذلك . ولقد اكدت لى ذلك — أفلم ترها يامنتلون

« اذا بلغ الرجل من العمر خمسين سنة ندر أن يتملكه الحب . لقد كان برثير يستطيع ذلك اما انا فلا استطيعه لقد تحجر قلبي بل هو اليوم أشبه بالنحاس . لم اكن يوما من الايام عاشقاً ، اللهم الا چوزفين على انه كان عشقا قليلا . انى كنت فى سن السابعة والعشرين يوم عرفتها اما مارى لويز فلم يكن حبى لها الا ودادا أخلصه لها على انى ربما كنت من رأى جاسيون اذ يقول ان الحياة ليست من القيمة بحيث يصح ان يهبها الانسان لأنسان »

ملك روما

« ولدى أحب شيء الى فى العالم بعد فرانسا »

« ما اثقل صولجان الملك فى يد ولدى من بعدى »

واحسرتاه لولدى ! أى شقاء أتركه له من بعدى . واحسرتاه على طفل يولد ملكا ثم لا يجد الآن لنفسه وطناً »

« لو ولدت لى چوزفين ولدا لجعلنى هذا الولد سعيداً وحفظ فى نفسه اسرتى — ولكان الفرنسيون احبوه اكثر مما يحبون ولداً من مارى لويز ولم تكن قادتنى قدمى الى السقوط فى تلك الوهدة التى غطاها بساط من الازهار تلك الوهدة التى جلبت على الدمار كله فلا يعتد انسان بعد اليوم بحسن تدبيره ولا يعجل لسانه بالحكم على الحياة فى سعدها وبؤسها قبل أن ينقضي أمد هذه الحياة . . . . . غير أن چوزفين كانت تعلم انه لازواج بلا نتاج »

الفصل الثالث

فى الحياة

« الحياة التى لا فائدة فيها حمل ثقيل »

« ما الحياة الا حلم زائل »

« يجب أن نشغل أنفسنا ، فان الشغل كالسيف يقطع الوقت بل لابد للانسان أن يتم ماقدر له . فاللهم قدرنى على أتمامه »

« ما الحياة الا أن يعيش صاحبها فى آلام ، والحر من جاهد فى سبيلها حتى يغلبها »

« ليس بين النصر والخذلان الا خطوة واحدة »

« الناس من خوف الهزيمة يهزمون »

« من ولى الامر وجب عليه حمل عبئه »

« يجب أن ننظر الى الامور كما هى لا كما نشتهى أن تكون »

« ما أشقى الانسان انه ليرى الطبيعة ثم لا يستطيع أن يغلبها »

« لا يصيبن امرؤ اذى وهو يريد لنفسه الموت »

« يحتاج المرء الى شجاعة يقتبل بها الهموم والآلام أكثر منها لاقتبال الموت »

« اذا شاء القدر وجب الاذعان »

السعادة

الناس فى السعادة سواء . فلو انني بقيت ادعى مسيو بونابارت مانقصت سعادتى عنها وقد أصبحت ادعى الامبراطور نابليون . ولا

شك ان الفعلة هم كغيرهم من الناس فى السعادة . انى لم أكن أجد لذة فى حسن الطعام لان مائدتى كانت جيدة الطهى على الدوام ولكن الفقير الذى لم يذق مرة طعاما كطعامى ينعم بأكله يوم يقدم اليه الحساء يشربه ومحمر البط يطعمه بل أنى أوقن أن حياته خير من حياتنا فى هذه الجزيرة »

« انى ليعجبنى ذلك الرجل الذى قيل انه وضع ماله جميعه فى صندوق ثم انفق منه كل يوم قدرا معلوما . ان الضرورة قاضية بذلك حتى يقصر الانسان من رغباته »

لقد كنت سعيداً يوم أصبحت أول القناصل ويوم تزوجت ويوم ولد لى ملك روما ، ولكننى لم أكن يومئذ واثقا من دوام مركزى بل ربما كان أسعد أيامي يوم تلسيت ، يوم هذبت صروف الدهر وبيضت سود الليالى ، يوم كان النصر عن يمينى والمجد عن شمالى ، ورأيتنى افنن القوانين للناس ورأيت البراطرة فى ركابى بل ربما كان أسعد أوقاتى أيام فزت بالنصر فى ايطاليا هنالك كانت الجموع لاهجة بذكرى متحمسة : هنالك كانوا يصيحون من أعماق

قلوبهم « ألا فليحي محرر ايطاليا » كل ذلك وأنا فتى لم أعد الخامسة والعشرين من العمر

منذ تلك البرهة تمثل لنفسي ماصرت اليه فى مستقبل الايام . رأيت العالم جميعه يمر من تحتى كانما قد ولدت في الهواء »

« انى اوقن ان بين اواسط الناس سعادة تفوق سعادة أعاليهم »

« لابد للانسان من يوم يسأم فيه كل الامور ولا تؤثر كثرة المال عن الحاجة فى تلك الحال . كان للبرنس لويز دخل قدره ٢٠٠٠٠٠ من الفرنكات ينفق منها ١٥٠٠٠٠ فى وجوه البر والاحسان أفلا ترون حياته شريفة سامية »

« انى أكرر القول بان المال والالقاب لاتجعل الانسان سعيداً »

وقال يخاطب أحد المديرين بعد عودته من روسيا فى سنة ١٨١٢ ، « . . . وأنت أيضا ايها المدير لقد صادفت يوم شدتك ومحنتك . الا أنه لا تخلو حياة امرىء من هذه الايام »

« ماغرنى الاقبال يوما ولا الفتنى المصايب الا قادراً عليها أرد ضرباتها بعزم شديد . لقد فكرت فى مشروعات لخير العالم ثم

أخرجت هذا المشروعات ولقد علمت فى حالىّ الوالدية والملك أن السلام من عماد الملك ودعائم العائلات »

هل تزعمون أو يزعم أحد منكم أن الامور تأتى دائما وفاق مرامنا وانها تدبر ذاتها حتى تضمن لنا السعادة كلها ؟ اذا هى قلبت لنا ظهر المجن ورزحنا تحت أثقالها فهنالك يتطلب الانسان أنسانا يشكو اليه بثه وحزنه ولكن أين يودع الانسان سره اذا هو قلّب عينه فلم يجد أمامه ذلك الصديق المرتجى »

« تتوقف جلائل الامور على صغائرها ، والحازم من استفاد من كل أمر ولم يهمل مايستطيع به أن يكثر من سوانح فرصه وقليل الحزم من قد تعرض له فرصة فلا ينتهزها فيعاجله الدمار والخسران »

« من الحوادث مايبدو لك صغيراً وفى لفائفه عظائم الامور »

« قد يغفر الموت للانسان زلته ولكنه لا يصلح هذه الزلة »

« الفكر يحكم العالم »

« التسامح روح السعادة فى الامة الرشيدة »

« الكريم من لم يعاد من الناس أحداً »

ليست العظمة بالشيء المذكور حتى تكون دائمة »

« ماالمودة الااسم . انى أعلم أن ليس لى صديق واحد ولكنى مادمت كذلك نشأ حولى من أدعياء مودتى خلق كثير »

« كلمة مستحيل ليست فى اللغة الفرنسية . انى لا أعرف هذه الكلمة »

« فلاح المجازفين فى المصادفة »

« الاستقلال كالشرف كلاهما كالجزيرة ذات الصخور ليس لها شاطىء »

« اياك والكراهية »

« اذا جلست مجلس القضاء فاستمع حكاية المتقاضيين وتمهل فى الحكم حتى يجد العقل صراطه المستقيم »

« عدو مبين خير من حليف مريب »

« من الريب مالاتقوى عليه براءة البرىء »

« الحياة سر غامض فى مبداها ومسراها ومنتهاها سواء فى الناس أو غير الناس أو فى الطبيعة او فى أى شىء »

« ان قبضتى - وكانت من الحديد - لم تكن فى مقدم ذراعى ، بل كانت من فؤادى قاب قوسين أو أدنى »

« أسرع الناس مشياً من سار وحده »

المستحيل - كلمة لا يعثر عليها الا فى قواميس المجانين »

« أريد من عقلى مزيداً وفى لسانى قصراً »

« وكتب الى المارشال بسبير سنة ١٨٠٩ اذا فعلت فافعل على عجل وشدة ، لا يعترضك شرط ، ولا تعليل ، ولا استدراك »

« الكذب زائل والصدق دائم »

« حكم الخديعة قصير الامد »

انك الآن يا لاكاس هائج الدم ثائر النفس ولا أظن ان فى الامور أمراً تستطيع احسان فعله فى مثل هذه الظروف فأجدر بك أن لا تبدأ فيه حتى تمر بك ليلة كاملة »

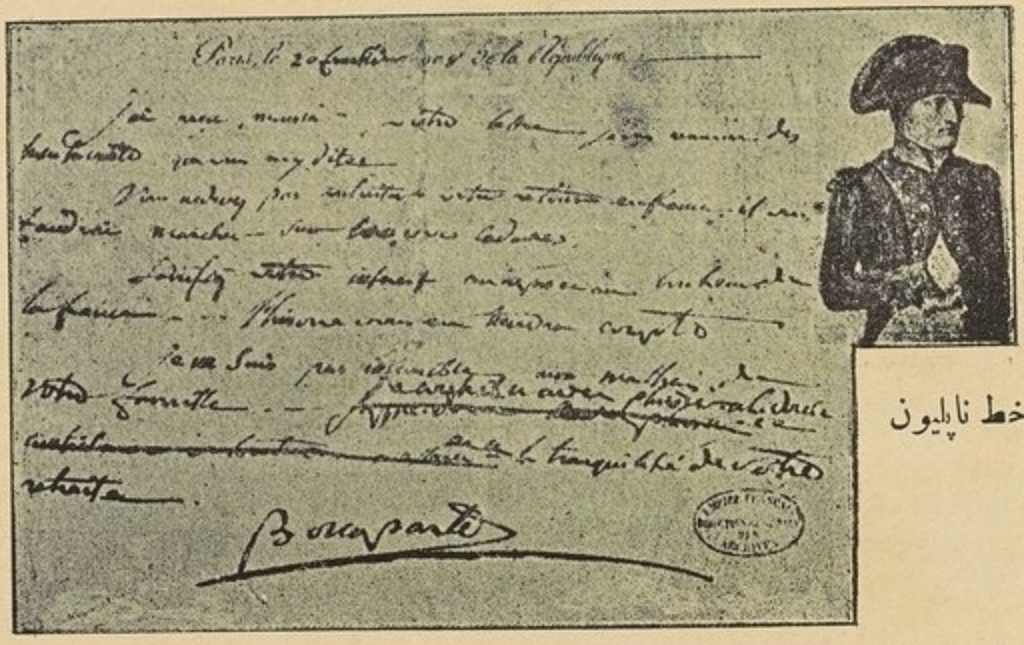

خط ناپليون

« الليل ناصح امين »

« حقيقة وظيفة الانسان فلاحة الارض »

أريد أن أعيش فى القرى أريد أن أرى الارض يصلحها الناس لانى لاأعرف من فن زراعة الغيطان ما أستطيع به اصلاحها . ان هذا لأشرف أنواع الحياة »

الفصل الرابع

آراء فى الرجال

« لاتكون الرجال باللعب والرقص »

« لايظفر المقامر بثقة منى وانى لأنزع ثقتى بامرىء عند أول علمى بانه مولع بالقمار »

« ليس فى قدرتى خلق الرجال فلابد لى اذن ان استفيد ممن أجد »

« انى لتدهشنى سلطة الالفاظ على الرجال »

كنت أيام سعادتى أحسبنى أعرف الرجال ولكن لم اكن

أدرى ان عرفانى بهم على حقيقتهم انما كان فى أيام محنتى »

« اتدرى ماحمله أثقل على النفس من تقلبات الحظوظ ؟ الا انه هو دناءة الرجال وفظاعة جحودهم ... ألا أنما الموت راحة »

وقال بعد واقعة واترلو

« ان آخر اختبارى للبشر قد نفى عنى تلك الاوهام التى من دأبها أن تقضى على هممة الملوك . لم يبق لى فى الوطنية ثقة ، فقد علمت أنها لفظ فارغ ، يعبر عن فكرة فاضلة : ان حب الانسان وطنه انما هو حب لذاته ومركزه ومصلحته »

ضعف الطبيعة البشرية

قال نابليون لبطانته في سنت هيلانة

« انكم لا تعرفون الرجال بل يصعب على الناس فهم الرجال . هل يستطيعون فهم طبائع أنفسهم أو الابانة عنها . ان أغلب الذين هجروني لم يكونوا ليعرفوا مكان النقص في نفوسهم لو اننى ظللت كما كنت فى اقبال ... ان من الفضائل والرذائل ما يتوقف على الظروف »

« ان محنتي الاخيرة كانت فوق مقدور الرجال ولكني أوقن ان رفقتي هجرونى لا خيانة منهم لعهدى بل صداً أجل فان ما رأيت لم يكن الا من ضعف فى نفوسهم لا خيانة وهل تجد في صحائف التاريخ رجلا كان له من الاصدقاء والمتشيعين ما لى ؟ أو كان محبوبا فى قلوب الناس مثلى ؟ أو كان محزوناً عليه حزنهم علىّ ؟ الا انه لا يشك امرؤ انى وان أكن فوق هذه الصخرة النائية ، أطل بعين الوهم على فرنسا كأنما لا أزال أحكم فى تلك الربوع كما ان الملوك والامراء الذين عاهدونى قد حفظوا عهدهم الى النهاية ولكنهم ذهبوا فى تدافع الشعوب وأولئك الذين كانوا حولى قد غشيتهم ريح صرصر صرعتهم فهم لا يتحركون » .

« ان الماليين وأصحاب المصارف نافعون أحياناً بما لهم من الخبرة بالامور »

وقال وهو في سنت هيلانة

« ليس لى فى الطب ثقة . ان دوائى اذا أنا مرضت الصوم والاستحمام بالماء الساخن . على انى أكبر صناعة الطب وأخص الجراحة بالاجلال دون غيرها أما المحاماة فمحنة ثقيلة على الانسان

وهو ضعيف ، والرجل الذي يعود نفسه مناهضة الحق وينهج لغلبة البغى على العدل لا يستطيع أن يميز بين الحق والباطل وكذلك دأب السياسة يحتم على رجلها أن يكون قلبه قلب الجميع أما رجال الدين فأولئك مدفوعون الى الرياء لكثرة ما يتطلب الناس منهم . أما الجنود فهم سفاكو دماء ولصوص ولكن الجراحين يخدمون الجنس البشرى فلا هم يفنونه ولا هم يحرضون بعضه على بعض »

ان عظماء الخطباء الذين يملكون قلوب المجتمعات التى يخطبونها هم فى الحقيقة من أواسط السياسيين موهبة لا ينبغى أن يعارضوا بمثل أقوالهم . لانهم أقدر منك على تسفية ألفاظ كثيرة اللغط والضجيج فى وجه المعارضين . بل الواجب اذا أريد محاجتهم أن أن يكون الكلام جدّيا مؤسساً على القضايا المنطقية . انما يعتمد أولئك الخطباء على السفسطة فمن أراد مناقشتهم فليردهم الى الحقائق الثابتة وذلك لا يتسنى الا بالبرهان المنطق السديد . لقد كان معى فى المجلس رجال أفصح منى لساناً وأوضح بياناً ولكنى كنت ألزمهم الحجة كما لو كنت أقول ان اثنين واثنين أربعة »

﴿ محمد ﴾

« جاء محمد فى يوم كانت النفوس متطلعة فيه الى عبادة واحد أحد وكانت بلاد العرب قد غشيتها الحروب الداخلية امداً طويلا حتى تعود الناس الشجاعة والاقدام ... على انه لم تظهر بطولة محمد الابعد غزوة بدر .....

ان الانسان لايمكنه أن يبلغ فوق انسانيته شيئا ولكنه مع ذلك قد يأتى بالجليل من الامور ويقوم بالعظيم من الاعمال ثم قد يكون كالشرارة طارت فى هشيم

لا أظن أن محمدا كان يستطيع أن يبلغ فى العرب مابلغ لو أنه كان بينهم فى هذه الايام (١٨١٧) ولكن دينه قد استطاع فى عشر سنوات أن يمتلك نصف العالم المعروف فى حين أن دين المسيح لم يثبت له أساس الا فى ثلاثة قرون

أجل فان دين المسيح لا يوافق الشرقيين لانهم يريدون أن يكون دينهم أبين حدا وأدق قصداً ثم لا يريدون أن يكون هذا الدين مفعما بالروحانيات »

واشنجتون

« لما ملكت ناصية الحكومة فى فرنسا كان الناس يرجون أن اكون شبيها بواشنجتون . اللفظ لاقيمة له ، لذلك فهم يتكلمون . ولكنهم لم يقدروا الزمان ولا المكان ولا الرجال ولا الامور

لو اننى كنت فى امريكا لكنت واشنجتون ذاته دون ان يكون لى فى ذلك فضل لانى لاأرى كيف كنت افعل غير هذا ولكن لوكان واشنجتون فى فرنسا حيث الاختلال من الداخل والتحفز للغزو من الخارج لاستخففت به اذا هوهم بمثل ماتم له فى امريكا أجل لو انه حاول ذلك لعددته معتوها لاعتقادى انه ماكان يزيد من الشرور المقيمة فى فرنسا الافظائع اما انا فقد كنت أستطيع ان اكون واشنجتون ثم اكون فوق ذلك صاحب تاج

اننى لم اصبح ملكا الا بعد ان اقرنى مؤتمر من الملوك والامراء بعضهم خاضع لى من تلقاء نفسه وبعضهم مقهور هنالك استطعت وحدى ان أبدو للناس فى أعتدال واشجتون وبعده عن المصلحة الذاتية وفى حكمته على أنى لم أكن أستطيع أن ابلغ هذه المنزلة الا لما كانت لى الرياسة العامة ذلك ما أملته فهل كنت فى ذلك جانياً »

الفصل الخامس

الصفات القوميه

الانجليز

« ما الانكليز الا تجار ، كل مجدهم فى ثروتهم »

« انظر الى الانجليز انهم غلبونا ولكنهم أدنى من ان يطاولونا »

« أرى ان نسبة عدد أشراف الرجال من انجلترا تفوق مثلها فى أى قطر من أقطار العالم ولكن فيها من هم شر العباد فهم فى ذلك على طرفى نقيض »

« لا ينبغى ان تذكر اسم الثورة للانجليزى لانها تخيف الناس فى بلاده حيث لم يبق لحزب الشعب حياة . على أن النار لم تنطفىء بعد لكثرة مافيها من الشرار »

فرنسا والفرنسيون

« صغائر الامور فى فرنسا عظيمة ولاقيمة للعقل فيها »

« الرأى فى فرنسا هو الكل فى الكل ولكنه يدور حول الصغائر »

« لاتعرف الأمة الفرنسية كيف تحتمل المصايب. هذه الامة التى بذت الامم جميعها شجاعة وذكاء لاتعرف الثبات فى شيء الافى أن تهب الى مواقع القتال . والهزيمة تفسد أخلاقهم »

« ليس فى الأمة الفرنسية ذاتها من صفة الاوهى متحولة زائلة. كل ماتفعله انما هو للعاجل من المطالب وطوع الهوى النفس وأوهامها — وليس فيما يفعلون شيء يراد به الدوام والاستمرار. ذلك دأبنا تؤيده أخلاقنا فى فرنسا . يقضي الانسان حياته يبرم وينقض ولا يبقى من عمله بعد ذلك شيء »

« الفرنسيون قوم يعشقون الفخر الكاذب يحبون العجب أكثر من حبهم للخبز »

« الفرنسيون أرق العالم عقلا »

« لقد كنت أحلم كثيراً بأمور عظيمة أريدها لفرنسا ولكن الدهر عكس آمالى . قد كان اتحادهم لازما ولكنهم أبوني

آه — لو اننى حكمت فرنسا أربعين سنة لجعلتها أعظم سلطنة فى العالم »

« وددت لو أن لقب فرنسي كان أعظم شيء يرغب فيه على سطح هذه الكرة . ووددت لو أن يسمى الشعب الفرنسى بحق « بالامة العظيمة » وان يكون مثالا للرشد وجلال العقل »

البولانديون

انى أحب أهل بولاندا لان حماستهم تلذنى . وانى لأتمنى ان اجعلهم أمة مستقلة ولكن لاأرى السبيل لذلك هينا . فلقد تناهبتها أمم كثيرة فالروس من جهة والنمسا ويون من جهة والالمان من جهة ، تقسموها كأنما هى كعكة فى أيديهم فضلاعن أنه اذا أشعل عود الثقاب فلايدرى أين تنتهى النار . ان أول ماعلىّ من الواجبات انما هو لفرنسا ولا ينبغى لى أن أضحى مصلحتها فى سبيل مصلحة بولندا ... فلنكل الامر اذن للدهر فهو مصرف الامور والحاكم الاعلى وكفيل أن يهدينا الى صراط العمل »

الروسيا

« ان الروسيا سائرة فى سبيل تحصيل المجد الذى لايدانى بعد اذ ذهبت فرنسا وتحطم ميزان القوة بين الدول »

« الروسيا سائرة فى سبيل التغلب على العالم . ان المتبع سير

الحوادث يستطيع أن يبصر غايتها . ان التقدم الذي أمعنت فيه منذ عهد بول الاول تقدم يملك النفس من العجب »

« يحسن بالروسيا أن تتحد دائما مع فرنسا »

« بلاد الروسيا فى موقع يساعدها على امتلاك العالم »

الفصل السادس

سياسيات

« الحكومة ! قد كنت أنا الحكومة »

« من ذا يتبوأ مكان الله فى الارض الا الشارعون »

وقال فى خطاب ألقاه على حكومة المديرين بعد عودته من الحملة الايطالية سنة ١٧٩٧ « لكي يمكن الحصول على دستور مؤسس على قواعد العقل يجب أن تمحى اعتسافات ثمانية عشر قرنا سلفت »

« لاتخطى العقبات ولا تبلغ الغايات ، الا بالعقل والحكمة وحصافة الرأى »

ان السياسة الحكمية هى فى الاعتماد على التدبير والحكمة فى

معالجة الامور ، فان نحن جعلناها أساسا لأعمالنا حفظنا لانفسنا لقب « الامة العظيمة » الذى استبحناه ، ولبقى لنا مجلس الحكم فى أوروبا »

« كان كل همى أن أحقق مبدئى وهو « كل شىء للشعب الفرنسي »

« كل ماأريده وما أرغب فيه وما أشتهيه وكل جهدى هو فى أن يبقى اسمى مقترناً باسم فرنسا »

« ينبغى أن لا تحكم الظروف السياسة ، بل يجدر أن تحكم السياسة هذه الظروف »

« يجب أن يكون نظام الحكومة مطابقا لروح الامة »

« تسيّر الحكومات بالحكمة والسياسة لا بالضعف ولا الخشونة »

« ان أخذ الامر بالوسيلة الناقصة يفسده وجاعل الغلبة على العدو مستحيلة . ان السياسة والشعور لا يتفقان »

« يجب أن تكون شريعة الحكومة وعملها سواء مع الناس جميعاً ويجب أن تمنح الرتب والالقاب لمن كان فى أعين الناس جميعاً

مستحقاً لهذه الالقاب »

« أن سياستى هى فى أن أحكم الرجال كما يحب أكثر هؤلاء أن يحكموا »

« لاينبغى لأُمة أن تفعل شيئا ينافى شرعه الفضيلة : فانها اذا لم تفعل ذلك كانت جديرة أن تفني »

طبقة الارستوقراطية أو الاشراف هى عماد الملوكية. والحكومة بغيرها كالسفينة بلادفة أو كالمنطاد فى الهواء على أن الارستوقراطية الحقيقية هى ما كان فرعها قديماً فان لها من هذا القدم قوة وسحراً وذلك مالم أستطع أن أحدثه فى فرنسا : أما الديموقراطية الصحيحة فلن تستطيع أن تطمع الى شىء فوق البلوغ الى المعالى أسوة بسواها والسياسة الحكيمة فى هـذا الزمان انما هى فى استخدام بقايا الاستوقراطية باسم الديموقراطيـة وروحها على أنه كان ضروريا أن نستفيد من الاسماء التاريخية القديمة . هذا هو السبيل الوحيد التى استطعنا بها أن نرمى نور القديم على الجديد

ان فـكرتى فى هـذا الصدد كانت تأسست ولكن لم يكن عندى متسع من الوقت لابرازها : كانت هكذا : كل من جاء من

نسل مارشال أووزير له حق أن تسميه الحكومة « دوق » اذا أثبت أنه يمتلك الثروة الواجبة وكل من كان من نسل قائد أومدير من حكام الاقاليم يسمى « كونت » اذا أثبت هذا أيضا انه ذو ثروة مناسبة

« لقد كانت هذه الطريقة ترقى فريقا من الناس وتحيي امال فريق وتحدث التبارى بين الناس دون أن يكون من ورائها مضرة لاحد »

« الامم القديمة المفسدة لايمكن أن تحكم بنفس المبادىء التى تحكم بها أمة طاهرة ذات فضيلة فاذا وجد من يضحى نفسه فى هذه الايام فى سبيل المصلحة العامة وجد ألوف وملايين لاتحكمهم الامصالحهم الخاصة وصلفهم ومسراتهم وعندى أن محاولة اصلاح مثل هذه الامة فى يوم واحد ضرب من ضروب الجنون . وحقيقة ذكاء العامل تنحصر فى استعمال المواد التى بين أيديه استعمالا يخرجها به الى المنفعة الحقيقية ويستخرج به الخير من العناصر ، وان بدت فى أول أمرها دون مايستطيع . هناسر خلق الالقاب والاوسمة . على أن هذه اللعب يصحبها فى العادة قليل من النصب ، ولكنها مفيدة على كل حال فهى فى الحالة المدنية التى نحن فيها انما تستدعى احترام الجمهور كما أنها فى ذاتها تحدث فى صاحبها نوعا من الاحترام

الذاتي . ان هذه الاوسمة والرتب ترضى الضعيف فى صلفه دون ان يتأذى منها القوى »

« كيف يدعى انسان ان هذه الاسماء الفارغة والالقاب التى تعطى ، خدمة لمبدأ سياسى تغير من علاقة الشخص باحد أقاربه أو أصحابه »

لم يبق ممن يفعل الخير ويؤدى واجبه الاجنودى المساكين وضباطهم الذين ليسوا من الامراء ولا الدوقات ولا الكونتات انه قول مر ولكنه صدق . أبعدوا عنى أولئك السادة الاشراف الى فراشهم ينامون عليها والى قصورهم يمرحون فيها فانى سئمتهم ووجب الخلاص منهم . انى أريد ابتداء الحرب من جديد بفتية ملأ الشباب قلوبهم بأسا وأفئدتهم شجاعة »

فوز المدنية

« الرذيلة فردية دائما ولاتكون فى المجموع الانادراً . أنظر الى يوسف واخوته فانهم لم يستطيعوا جمع أمرهم على أن يقتلوه وانظر الى « جودا » المرائي الشرير فقد خان سيده: قال أحد الفلاسفة ان الانسان ولد شريراً وعنهى انه يصعب على المرء ان يحاول التثبت

من صحة هذا القول . ولكن لاشك فى ان أكثر افراد المجتمع ليسوا أشراراً ، لانه اذا كان الغالب منهم من الجناة الذين لا يرعون حرمة القوانين لم تبق من الناس من له القوة على ردعهم . وفى ذلك نصرة المدنية لان هذه النتيجة المرضية لم تنشأ الا فى تربتها ولم تترب الا على فضلها »

« العاطفة ان حققت أمر وراثى وانما نتبينها لانناراً يناها فيمن تقدمونا وكذلك ينشأ العقل الانسانى وتنمو المدارك . وفيها مفتاح هذا النظام الاجتماعى وسر الشارع فاما الذين يريدون ان يحكموا الشعوب لمصلحتهم الذاتية فأولئك يعملون على ان تبقى فى جهالة لانهم كلما زادوا استنارة زادوا يقينا بفضل القوانين وضرورة المحافظة عليها وهنالك يسير المجتمع ثابتا صعيداً . هذا ولن يكون العلم فى الجماعة خطراً الا اذا كانت الحكومة معارضة للشعب ومصلحته . فهى بذلك تدفعهم الى تلبس حالة ليست طبيعية أو تقضى للطبقات السفلى بالفناء من الحاجة . هنا يدعو العلم ذلك الشعب الى الدفاع عن نفسه أو يسوقه الى اقتراف الجناية»

« مصر هى البلد التى يظهر للناس انها صاحبة أقدم مدنية

على ان الغال والمانيا وايطاليا ليست بعيدة عنها في ذلك بعداً كبيراً وأظن ان الجنس البشرى جاء من الهند والصين التى كان فيها من البشر مالا يعد . لامصر التى لم يكن فيها الا بضعة آلاف من السكان . كل ذلك يقودنى الى الظن بأن العالم ليس قديما جداً اذا نحن نظرنا الى التاريخ الذى بدأ فيه ظهور الانسان فى العالم بل أرى أن عمر العالم الانسانى لايزيد عما جاء فى الكتب المقدسة الا ألفا أو ألفين من السنين

« انى أرى ان الانسان انما نشأ من تأثير حرارة الشمس فى طين الارض . قال هير ودوتس ان طينة النيل فى أيامه كانت تتحول الى فيران وانه كان يمكن رؤية هذه الفيران فى دور التكوين »

« من ملك مصر ملك الهند »

قانون نابليون

« لقد كان القانون الذى وضعته خيراً لفرنسا من مجموعة القوانين التى سبقته وذلك نظرا لما ركب عليه من السهولة - ان مدارسى ونظام التعليم الذى وضعته آخذة فى تهيئة نشأة جديدة لم تبصرها العين بعد »

چوزفین

« ان الحصافة وحسن التدبير فى السياسة خير من الخديعة . أجل فأن الدولاب الذي كان يديره سواس العهد الماضى قد أصبح لا يليق بهذا الزمان . على انى لا أدري لماذا نرجع الى الخديعة اذا كان فى استطاعة الانسان ان يتكلم بصراحة وجد . ان الرياء والمداجاة من دلائل الضعف »

التربية

« أنى أريد فئة من المعلمين ذات كيان خاص . لأن هذه الفئة لا تموت حتى تنقل الى غيرها نظامها وروحها - أريد فئة يكون تدريسها أبعد من ان يتأثر بالظروف وما قد يكون فيها من مذاهب سخيفة ، فئة تسير الى غرضها ساهرة وان نامت الحكومة ، تتأصل مبادئها ونظامها فيها حتى تصبح أهلية ثابتة لا يستطيع أحد أن يمسها .... لا يمكن أن تكون السياسة ثابتة مالم يكن التعليم ثابت المبدأ فانه مادام الناس لا يعرفون ما اذا كان لابد لهم ان ينشأوا جمهوريين أو كاثوليكيين أو ملحدين فلن تستطيع الحكومة ان توجد أمة بل يظل عرشها على أساس غير مأمون الدعامة عرضة للفوضى واختلال النظام »

مما يحزن له فى هذا البلد ان الشاب الذى يريد ان يحصل العلم

لابد له ان يتخبط فى الظلمات زمانا طويلا ويضيع من أيامه سنوات يبحث فيها عن ضالته حتى يجد مورد العلم الحقيقى الذي ينشده ... انى أريد هذه الموارد . لقد شغلت بالى كثيراً . وذلك لانى كنت أشعر بالحاجة اليها عندما كنت أهم بأمر من الامور أو عمل من الاعمال »

« ان النصر الحقيقى الذى لا يعقبه ندم انما هو النصر على الجهل كما أن أشرف منهج تنتهجه الامم وأجدر عمل تعمله الشعوب انما هو توسيع نطاق العقول »

« لا يملك الناس الا بفضل العقل وقوة الحجى »

« لقد كان من أهم أغراضى ان اجعل العلم قريبا من كل متناول لقد عملت على أن لا يتأسس معهد الا على مبدأ التعليم المجان . وان طلب شيء فلا يكون الا بحيث يستطيعه الفلاح وكانت المتاحف مفتحة الابواب للناس جميعاً . ذلك بأن مجهوداتى كانت موجهة على الدوام الى انارة عقول الامة بالعلم والعرفان لا الى جعلها قطعانا من البهم باطعامهم الجهل وتربيتهم على الخرافات . لو اننى كنت أفكر فى مصلحة نفسي وفى البقاء على سلطتى كما يدعون لكنت طويت العلم ودفنته فى غيابة الجب ، ولكنى لم أفعل ، ولا ينبغى لى

بل وجهت عزمتى الى نشر العلوم ولـكن لم يقدر لشبيبة فرنسا ان تنتفع بما أردته لهم فلقد كانت الجامعة التى أنشأتها لهم آية فى النظام والتدبير كما أن نتائجها لم تكن لتقل عن ذلك جـلالا » (نقلا عن كتاب أبوت)

« ما أعظم الناشئة التى تركتها من ورائى . كل ذلك من عملى وسيكون فضل هذه الناشئة كفيلا ان يثأرلى . مهارة العامل تبدو فيما يعمل وتنصفه عند الحـكم فاما فساد حكم المرجفين وسوء نيتهم فسيزهق وتبدو أعمالى للمبصرين . لو أننى لم أفكر الا فى نفسى وفى حفظ سلطتى وقوتى كما يزعمون لـكنت طويت العلم ولـكنى لم أفعل ولاينبغى لى . بل وجهت عزمتى الى نشر العلوم ولـكن لم يقدر لشبيبة فرنسا ان تنتفع بما اردته لهم فلقد كانت الجامعة التى أنشأتها آية فى النظام والتدبير كما أن نتائجها لم تـكن لتقل عن ذلك جلالا » (نقلا عن كتاب لاكاس)

دين انجلترا الاهلى

ان ديون انجلترا دودة ترعاهـا بل هى سلسلة تلك الاغلال التى ستعوقها فى سيرها لانه لا يمكنها ان تقوم بهذا العمل الثقيل حتى تستمر أثناء انفضاضها من الحروب فى تناول تلك الضرائب

الفادحة التى تقررها أيام الحروب وسيقودها هذا بطبيعة الحال الى زيادة أثمان المأكولات ودفع الناس من غير وعى الى حالة من الشقاء مخيفة . عند ذلك يحدث أحد أمرين : اما ان تزداد أجور العمال بهذه النسبة ، وعلى ذلك لا تستطيع المصنوعات الانجليزية ان تنافس مصنوعات غيرها من الامم فى أسواق أوروبا ويتبعها خسارة أصحاب المعامل أنفسهم . واما ان تبقى أجور العمال كما هى فلا يصاب أصحاب المعامل بضرر ولكن لا يقدر معها العمال على تحصيل حاجات العيش الضرورية . ان أول عناصر سعادة الامة هو فى وجود توازن بين مقدار الضرايب المقررة لحفظ ميزانية الحكومة وبين زيادة أجور العمل ولكن الضرائب لسوء الحظ لا تثمر حتى تصل الى الجماهير ولكنها اذا كانت تؤثر فى حالتهم المعيشية جلبت على الناس الشقاء والمصايب لذلك يتحتم على انجلترا ان تقاتل ذلك الوحش الضارى ، دينها ، بكل الوسائط السلبية والايجابية وباقتاص مصروفاتها وزيادة تجارتها مع العالم وفى حالة هذا الاقتاص يجب عليها ان لا تقتصد . ثم يجب عليها ان تعجل بالبتر اذا أنذرت الحال بالفساد اما مسألة المرتبات والمعاشات ومصروفات جيشها البرى فيجب ان يعجل فيها بالاصلاح . ان

عظمة انجلترا السياسية هى فى مجريتها وليست فى تلك الجيوش البرية التى ترسلها الى أوروبا بجوار تلك الجيوش الكبيرة جيوش الروسيا والنمسا وبروسيا

كما انه يقتضى لها ان تعجل باصلاح تلك المفاسد العديدة التى تلم باملاك اهل الدين فيها وبأصلاح حالة الفلاحين فى علاقتهم مع أصحاب الارض وبأصلاح حالة ارلندا فى علاقتها بانجلترا ذاتها وبأصلاح المجاميع الذين يربون على ثلث مجموع سكان انجلترا وتخفيف تلك الاثقال الملقاة على اعناقهم بسبب معتقدهم الدينى ثم تمنح الناس جميعاً تلك الحقوق والميزات التى منحتها للمنتخبين. ان الحالة الحاضرة ليست الا غشا وتمويها يجعل حق انتخابات غالبية أعضاء البرلمان فى يد اللوردات والعرش اما ارلندا فليس لها الا خيال النيابة فى البرلمان ولكن الحقيقة أنها معتبرة مستعمرة من المستعمرات . لقد كان خيراً لها ان تكون كذلك فانها كانت لا تتحمل نصيباً من دين انجلترا المتزايد المتصاعد ولكنها الآن تتحمله وهى صاغرة

ان فريق الارستوقراطية فى انجلترا هم السادة الذين لا معقب لكلماتهم فيها وهم اذا أذن فى البلاد بوجوب الاصلاح وزأوا فى هذا الاصلاح مساس لقوتهم وامتيازاتهم عمدوا الى تلك الصرخه

التى اعتادوها فقالوا أن أساس الدستور فى خطر - انك اذا لمست هذا الاساس تهدم كل البناء فاذا هو خراب ، وضاعت على الناس حريتها » على أنه لاشك انه بالرغم مما في هذا الدستور من النقائص الفظيعة ، لاتزال نتائجه ، اذا أنت نظرت اليها وعرضتها فى نور مدنية هذا العالم ذات نتائج بهجه عظيمة . وهى هى التى تجعل الناس بما نزلت عليهم من البركات ، يخشون ان يصيبهم الضرر اذا هم ناهضوه ولكن ما اكثر هذه البركات وما أشد اغتباط الناس بها أذا ادخل على هذا الدستور من الاصلاح الرشيد مايجعل حركة ذلك الدولاب العظيم الجميل سهلا هينا »

غلطات نابليون

السياسية

« لقد اقترفت ثلاث غلطات سياسية كبرى . فقد كان يجب علىّ ان أعقد صلحا مع انجلترا بترك اسبانيا ، وكان يجب ان اعيد مملكة بولاندا كما كانت ، وان لا اذهب الى موسكو ، وكان يجب ان اعقد صلحا فى درزدن ، اترك به هامبرج وبضع ممالك لم تكن ذات فائدة لى »

حرية التجارة وحمايتها

« لقد حرصت على ان لا أقع فى غلطات رجال النظامات من حيث ايثار نفسى وتفضيل ارائى على حكمة الامم . ان الحكمة الصادقة نتيجة التجارب فالاقتصادى الذى يقول بحرية التجارة يقدم لنا غنى انجلترا ورفاهيتها التجارية مثالا لذلك وقدوة يجب تقليدها ! ولكن انجلترا بلد الممنوعات وأراها محقة فى بضع أمور لان حماية التجارة ضرورية لتشجيع الصناعة فى نشأتها . وفى هذه الحال لا يمكن الاستعاضة عنها بالجمارك فان التهريب يفسد غرض القانون . ولكن الناس فى العادة اذا عمدوا الى مثل هذه المسائل وهى ذات مساس برفاهية البلد بعدوا فى حكمهم عن مواقع الصواب ، على انه يمكن القرب من الحقيقة اذا اتخذنا اساساً لابحاثنا فى هذا الموضوع هذا التفصيل الذى راعيته دائما فى مسائل لزراعة والصناعة والتجارة — وهو تفصيل اغراض واضحة

أولا — ان الزراعة روح رفاهية الامة وأساسها

ثانيا — ان الصناعة مال الشعب الحاضر ورفاهيته

ثالثا — ان التجارة الداخلية هى استعمال موادالزراعة والتجارة استعمالا يعود بالفائدة

رابعا — التجارة الخارجية وهى استعمال الزائد من محصولات البلد والموفور من المملوك استعمالا مفيداً بحيث تكون أهمية هذا الزائد قليلة فى نظر صاحبها »

فقدان الاهلية فى وظائف الحكومة

«أن الوزير الذى لا يكون كفواً لوظيفته يؤذى بلده باستخدام قوم فى وزارته ممن لا ينظرون الا بعينه ولا يفكرون الا بعقله »

«اذا ذهب الرجل لينام فى وظيفته وجب أن يقال فان التبديل يغرى الناس بالعمل »

« لا يصح ان تسلم القيادة لرجال فوق الستين من العمر . أما ما يحسن ان يعطى لامثالهم فهى الوظائف ذات الشرف على ان يكون العمل المطلوب فى هذه الوظائف قليلا ، واذا انصفنا ، لم يكن مطلوبا منها عمل على الاطلاق »

وقال من خطبة فى مجلس الشيوخ بعد حرب الروسيا سنة ١٨١٢

ان جبناء العساكر ، وضعاف النخوة من الجنود ، هم الذين

يقضون على استقلال الامم ، ولكن خائر العزم الضعيف من الموظفين يقضى على جلال القانون وحقوق العرش ، ثم لا يقف ضرره عند ذلك بل يتعداه الى نظام المجتمع

انى لما توليت أمر فرنسا وأخذت على عاتقى تقويمها دعوت الله أن يمدني بسنين طوال ، لاعتقادى انه اذا كان التخريب يتم فى لحظة فالبنيان والتعمير لا يتمان الا فى زمان طويل »

« الا انه لا يعوز الحكومات أمر كموظفين ذوى شجاعة وصبر »

« كان أسلافنا يقولون مات الملك فليحيى الملك ؛ وفى هذه الكلمات دليل على ذلك المبدأ المتأصل فى نفوسهم ، مبدأ ان النظام الملكي مفيد . لقد درست أميال أمتى بما فعلت فى القرون الاخيرة وفكرت مليا فيما فعلوا فى كثير من أحقاب التاريخ وسأفكر أيضا فى الموضوع بعد ذلك »

« الرجال فى الدنيا كجماعة الموسبقي ، كل عازف منهم يتقن دوره ولا يعرف سواه . كان (نای) يحسن القيادة اذا هو تولى قيادة عشرة آلاف جندى أما فيما عدا ذلك فما كان الا أحمق مأفونا »

« ان فى فرنسا كثيراً من رجال العمل والدربة ، وانما ينبغى أن ننقب عنهم ونمهد لهم سبيل البلوغ الى المراتب التى هم أهل لها. فرب رجل تراه خلف المحراث وهو جدير أن يتبوأ مجالس الوزراء ، ورب وزير جلس يدبر الامر ، وهو حرى أن يجرى وراء المحراث »

« الكفاءة كيفما كانت ، ومهما صغرت ، يجب أن نبحث عنها ونتزلها منزلها الجدير بها »

« يزعم نبلاء لوندرة وثينا ان من حقهم أن يولوا أكبر أعمال الحكومة ، وأعظم مصالحها ، ويقوموا بتدبير أموال الامة ، كأنما نسبهم بديل مما ينقصهم من المقدرة والاستعداد ، أو كأنما يكفى الانسان منهم أن يدعى الى أبيه ليعهد اليه بأخطر الشؤون وأجل الامور . الا انما مثلهم مثل أولئك الملوك الذين يزعمون أنهم انما يستمدون سلطانهم من سلطان صاحب العزة والجلالة ، فما الرعية فى نظرهم الا البقرة الحلوب لا تراهم يبالون بما يصلحها أو تراهم ينظرون فى مرافقها ما دامت خزائنهم مترعة وتيجانهم مرصعة »

« لا انكر أن مطامعى كانت كبيرة جداً ولكنها كانت مطامع مستقرة على أميال الرأى العام . وكنت لا أفتأ أذكر ان الملك

لا يقوم الا بالامة . لذلك كانت الامبراطورية التى أنشأتها فى حقيقتها جمهورية عظيمة . ولقد دعاني صوت الشعب الى ارتقاء العرش فكان دأبى تقديم الكفاءة بغير نظر الى فوارق الانساب . وما كانت تبغضنى حكومات أوروبا التى تقبض على مقاليدها فئة الاشراف الا لهذا السبب . ومع هذا فان الرجل فى انجلترا قد ترفعه مواهبه وأعماله الى أعلى المراتب . فلعلكم قد أدركتم ما قصدت »

« الرأى العام قوة خفية غير مرئية يستحيل أن تقاوم. وليس هناك ما هو أكثر منه التواء وأشد منه ابهاما وأقوى بطشا وأسرع تقلبا . على أنه أعدل وأصوب مما يراه الكثيرون

لما عينت قنصلا ، كان أول ما بدأت به انى نفيت خمسين فوضيا كان الرأى العام شديد الحنق عليهم ، والبغض لهم ، فسرعان ما عطف عليهم ، ومال اليهم ، فاضطررت الى الرجوع فى أمرى . وما هى الا برهة أظهر فيها أولئك الفوضيون نزوعهم الى تدبير المؤامرات حتى انقلب ذلك الرأى العام الذى كان بالامس معهم ، الى جانبي وكذلك كان من جراء اغلاط ذاك العهد أن نرى الرأى

العام منصرفا الى جماعة من السفاحين كان يضطهدهم جمهور الناس قبل ذلك بقليل »

« المعقل الذى تمتنع فيه حرية الامم انما هو الرأى العام »

« الرأى العام على أهبة التسفل من أجل مصالحه فى كل وقت »

« يجب أن يكون الانسان قد مارس الذى مارسته ، وقام بمثل ما قمت به من الاعمال ، حتي يتسنى له أن يدرك الصعوبات التى تعترض العامل فى سبيل فعل الخير . فربما انتهى العمل على غاية السرعة والاتقان اذا كان المقصود منه اقامة مدخنة أو حاجز أو تجديد أثاث فى قصر من القصور الامبراطورية لفائدة بعض الافراد. فأما اذا كان المقصود منه توسيع حديقة التويلارى أو تحسين بعض الاحياء أو تنظيف مجرى من المجارى أو نفع الجمهور ، الى مثل ذلك من الاعمال التى لاتعود بالفائدة الخاصة على شخص معروف ، فقد وجدت الامر يحتاج الى استخدام كل وسائلى ، واستعمال كل قواى ، فكنت ربما كتبت ستة أو عشرة خطابات يوميا لانجاز مثل هذا العمل ، والترغيب فيه ومن ذلك اننى أنفقت حوالى ثلاثين مليونا من الفرنكات فى أعمال المجارى، وما كان لاحد أن يشكرني

على القيام بهذا العمل لانه مما لاينتظر فيه شكر الافراد ، وانفقت مثلها عوضا عن منازل هدمتها كانت قائمة فى وجه سراى التويلارى لانشاء الكاروسيل واخلاء طريق اللوفر . لقد أنجزت أعمالا كثيرة ولكن ما كنت أفكر فيه كان أعظم »

الترع

أبى جامع الكتاب على جملة مطولة من خطاب أرسله نابليون الى ناظر الداخلية فى نوفمبر سنة ١٨٠٧ يوصيه بعمل ثلاث ترع كبيرة. احداها تمتد من ديجون الي باريس وثانيتها من نهر الراين الى نهر ساؤون وثالثتها من نهر الراين الى نهر شلدت . وقد جاء فيما اقتطف الجامع قول نابليون

« انى جعلت عظمة حكمي فى تغيير وجه امبراطوريتى فالقيام بحفر هذه الترع العظيمة هو فى مصلحة أمتى كما انه يرضينى . واعلم اننى أرى من المجد ابطال الشحاذة والتسول فى بلادى . لذلك اريد القضاء عليهما قضاء مبرما . ليس يعوزنا المال للقيام بذلك ولكني ارى السير الى تحقيق هذه الامنية بطيئاً رخواً ، فى حين إن الزمان مجد فى سيره لايعبأ بنا . الا انه لاينبغى لنا ان نقطع

مراحل هـذه الدنيا من غير أن نترك فيها اثرا يشرف ذكرانا لدى أعقابنا

انى غائب عنك شهراً فاذا جاء الخامس عشر من ديسمبر فتأهب للجواب عن كل ما أسألك عنه يومئذ ، فان بين يديك من الوقت متسعاً يكفي لفحص تفاصيل هذه الامور ، ليتسنى لى يومئذ أن أقضى على الشحاذة فى كلمة واحدة أسطرها فى أرادة من لدنا

عليك أن تجد من الاموال الاحتياطية قبل الخامس عشر من ديسمبر المذكور مقداراً من المال يكفى للانفاق على ستين أومائة منزل يدفن فيها التسول كما يجب أن تعين الاماكن التى ستقام فيها هذه المنازل ، وتحضر قانونها ، واياك أن تسألنى امهالك ثلاثة أشهر أواربعة حتى تستطيع جمع ماأريدمن المعلومات فان بين يديك من الشبان العارفين بالامور الحسابية والمديرين القادرين والمهندسين الاذكياء خلقاً كثيراً فاجعل أولئك يعملون لانجاز هـذا المشروع ولاتهم تكتف بما يجرى فى نظارتك من الاعمال العادية

واعلم انه يجب أن تنفذ كل الاعمال الخاصة بادارة الاشغال حتى اذا ابتدأ الفصل اللطيف (لعله الربيع) ظهرت فرنسا فى ذلك المنظر البهج بين العالمين ، خالية من ظلمة الشحاذة على أرضها ،

سعيدة بأهلها ، اذ ينبرون الى تجميلها واستثمار ضياعها الواسعة ....

يجب عليك أيضا أن تجهز لى مشروعا يمكن به أن نحصل من تصريف مياه كوتنتين وروتشفورت ، على مال نستطيع به أن نقوم بأعمال المنافع العمومية ولاتمام مشروع المصارف التى نحن مشتغلون بها الآن ولحفر أخرى نريد اختطاطها

«ان ليالى الشتاء طويلة فأملاحقيبتك ، حتى نستطيع فى ليالى ثلاثة شهور أن نبحث الوسائل التى تؤدى بنا الى الوصول الى نتائج يرتاح لها البال »

« كان كل همى ان تكون باريس عاصمة أوروبا الحقيقية فلقد طالما وددت لو اصبحت مدينة فيها مليونان أوثلاثة أو أربعة ملايين من النفوس ـ مدينة عظيمة لايحد عظمتها الفكر كانها من مدن الخرافات ، لايماثلها شيء ـ بحيث يكون فيها من المبانى العامه والمناشيء القومية مايليق بأهلها فلو ان الله قدمد فى حكمى عشرين سنة ووهبنى قليلا من التفرغ لجعلت باريس آية من الآيات فى جدتها حتى لم يبق للقدم فيها أثر منظور . لو أمدنى الله بذلك لغيرت ماكان مقدوراً لفرنسا

كان ارخميدس الرياضى يقول أنه قدير على أن يحمل الدنيا لو وجد مكانا يضع فيه رافعته ، وانا اليوم أقول اننى كنت أفعل مثله لو اننى وجدت موردا يعتمد عليه جدى ودأبى وقوتى واستمد منه المال . أجل فقد تستطيع خلق العالم بالمال : هنالك كنت أستطيع ان أبين للناس الفرق بين امبراطور دستورى وبين ملك لفرنسا فما كان ملوك فرنسا الاسادة كبارا آذوا رجال العمل فى بلادهم اذا درت ببصرك تلتمس ادارة أوهيئة مجلسية بلدية اوغير بلدية فانك لاتجد شيئا »

التعصب الدينى

« ان التعصب الدينى آلة قوية كفيلة بالنجاح لمن ادارها فى شعب غير متمدين ... اننا اذا عمدنا فى فرنسا الى هذه الحيلة وما فيها من شعوذة ضحك الناس منا وسخروا ولكنها اذا استعملت فى روسيا جرت وراءها سفاحين قتلة »

الثورة

« الثورات كالوقائع تجرى فى ظلمات الليل . كل قد غشيه الارتباك حتى ترى الجار يعدو على الجار والصديق مأخوذا فى عدو . فاذا جاء الصباح وعادت السكينة والنظام عفا بعضهم عن بعض وغفر له ذنبه »

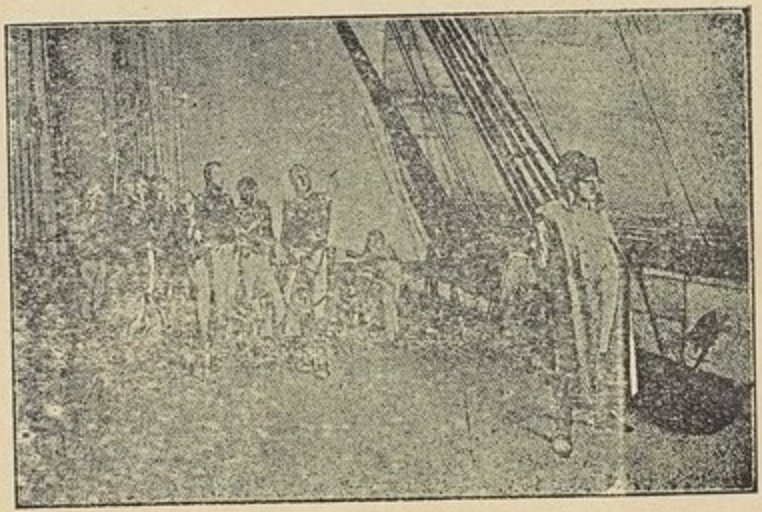

نابليون على ظهر الباخرة

Digitized by Google

« قد انتهينا من قصة الثورة فلنبتدئ بتاريخها . يجب اليوم أن يكون تطلّع أعيننا وقفا على ما هو حقيق فعلىّ من المبادىء التى يراد العمل عليها ، لا الى ما كان منها خياليا أو موهوما »

واجب الملك

« يجب أن يحكم الملك رعيته جليلا شريفا فى حكمه لا أن يجعل همه مسرتهم . ان خير ما يكسب قلوب الرعية ضمانة رفاهيتهم . وليس من شىء أخطر على الحاكم من مداهنة قومه وتمليقهم ، فانهم اذا لم يحصلوا بعد ذلك على كل ما يريدون تأففوا وزعموا أنهم انما وعدوا كذبا . فاذا قوموا فى ذلك ازدادت كراهيتهم له ، على قدر ما تصور لهم أوهامهم من انه قد خالف عهده معهم . لاشك ان أول واجبات الملك العمل وفاق ما تشتهى الامة ولكن يندر أن يكون ما تقوله الامة معبرا عن حقيقة رغباتها . فان رغباتها وحاجاتها لا يمكن تبينها من أفواهها كما يمكن قراءتها مسطورة على صدر أميرها »

السعادة الاجتماعية

« ليست السعادة الاجتماعية الصحيحة الا فى النظام اذا شمل .

وتوافق مسرات الافراد وامتزاجها . لقد وهبت الملايين كل عام للفقراء وضحيت ما ضحيت فى سبيل معاونة الصناعة وتعزيزها ولكن فرنسا بالرغم من كل ذلك قد كثر فيها المتسولون عنهم فى سنة ١٧٨٧ وسببه الثورات . فانها بالرغم مما تكون مؤسسة عليه من النظام والتدبر ، تخرب في لحظة ولا تستطيع البناء الا فى زمن طويل . ما كانت الثورة الفرنسية الا تشنجا وطنيا لايمكن دفعه الا اذا أمكن دفع بركان فيزوف عن التفجر فانه اذا حدث ذلك الاختلاط الخفى فى أحشاء الارض وتهيأت أسباب الانفجار اندفع الحمم من فوهته ذائبا نحو السماء وتناثر الاصلد من الحجر فى الاجواء . وكذلك أمر الأمة فان ما تنطوى عليه جنوبها من الاستياء أشبه بذلك ، يتبع سيره فاذا بلغت آلامهم دور النضج تفجرت الحفيظة من قلوبهم ، وآذنت فى البلاد بالثورات »

الالقاب

« يؤخذ الناس باللعب . كلمة . لا أقولها لكل الناس بل لمجمع من الراشدين والسياسيين . لا أظن ان الامة الفرنسية تعشق الحرية والمساواة . كلا فما غيرت الثورة من نفوسهم فى عشر سنين شيئا . بل هم الآن على ما كان عليه أسلافهم الغالبون من العتو والطيش . أما

الاحساس فليس لهم منه الا احترام الشرف - وهو أمر يجب علينا أن نغيه فى قلوبهم ولا سبيل الى ذلك الا باحداث درجات وعلائم غير هذه الدرجات »

﴿ الضرائب والحرية المدنية ﴾

« الحرية المدنية الحقيقية تتوقف على سلامة الملك . ولست أظنها تكون فى بلد من عادته تغيير مقدار الضريبة كل عام. فالرجل الذى دخله ثلاثة آلاف من الفرنكات فى العام لا يدرى اذا لم تكن الضريبة مقررة ثابتة أى مقدار من هذا المبلغ باق له للانفاق منه على بيته ونفسه . فقد يجوز أن تذهب الضريبة به كله »

« يكلف السفراء أمتهم مصروفات جمة وهم لا يفعلون الا قليلا الا أنه خير للملك أن يدبر أمر نفسه بذاته »

« ان الموسيقى أرقى الفنون فان لها فى النفس أقوى أثر. لذلك يجب على الشارع أن يجعل لها من نفسه نصيبا كبيراً فيدعو لها ويحمل الناس عليها »

ان الاغنية التى أحسن صوغها تهذب الفؤاد وتملك القلب وتؤثر فى الانسان أثرا دونه الحكمة فهى تملك اللب ولكنها لا تحيي

الشعور ولا تغير من طباعنا حالا »

الفصل السابع

« الدين ملك الروح . هو أمل الحياة وبر السلامة ومنجى الانسان من الشرور . انظر الى المسيحية فكم خدمت الانسانية وعندى انها مطوية على قوى عظيمة كفيلة أن تخدم بها العالم أكثر لو أن حماتها يفقهون مهمتهم »

« المسيحية دين الشعب المتمدين لأنها روحية جداً . فالثواب الذي وعد به عيسى المسيح من دان بها هو رؤية الله وجها لوجه ... والغرض الذى ترمي اليه المسيحية بتعاليمها انما هو غلبة النفس وقهر الهوى »

« ان مبدأ الغفران ، غفران الذنوب ، مبدأ جميل ، يجعل المسيحية دينا يجتذب اليه القلوب ، دينا لا يفنى . انه لا يستطيع أحد والمسيحية أمامه أن يقول « انى لا أومن ، ولن أومن »

« يجهد الفلاسفة أنفسهم على غير جدوى فى البحث عن مبدأ خير من ذلك الذى وفق بين الانسان ونفسه ، وضمن للناس السلام والنظام ، وهم مجموع ، ووثق لهم بالسعادة وبلوغ المنى وهم افراد »

« المقدور مسطور ، ولكل امرىء ساعة ، لا يستقدم عنها ولا يستأخر »

« لابد للانسان من طاعة القدر »

الا انما ساعاتنا الاخيرة مسطوره فى السماء »

الاحتفالات الدينية

« ان أشد ما يبغض الىّ اعادة الدين الكاثوليكى الى البلاد تلك الاحتفالات الكثيرة التى كانوا يقيمونها ، أن يوم المولد الذى يقام من أجل أحد القديسيين انما هو يوم تراخ عن العمل وتهاون ولست أحب مثل هذا اليوم لامة يجب عليها أن تجد وتسعى لتحصيل العيش انى أوافق على منح أربعة أيام فى السنة جميعها تقام فيها مثل هذه الاحتفالات . فاذا لم يوافق ذلك هوى حضرات الذين أتونا من من رومه فليتفضلوا بالرحيل من فرانسا »

« لا أعتقد باشكال الدين بل بوجود الله فقط »

« اذا ركب الانسان مركب الحياة سأل نفسه أسئلة ثلاثة ، أولها من أين أتيت ؟ وثانيها من أنا ؟ وثالثها الى أين أذهب ؟ »

أسئلة فى غاية الخفاء تدعوه الى الدين فيسرع الى اعتناقه ، ذلك بأن طبيعتنا تستحثنا الى ذلك »

« انا نعتقد بوجود الله ، لان كل شيء حولنا انما يدل عليه . وقد آمن به كبار العقول من الرجال (بوسويه) و (نيوتون و (ليبنتز) وغيرهم »

لابد لنا من الايمان بل لا شك فى اننا نؤمن كثيراً بأمور من غير تحكم العقل فيها . فاذا بدأنا نحكم العقل فى أمر من أمور العقيدة تزعزت هذه العقيدة ولكنا نهتف فى قلوبنا يومئذ باننا ربما آمنا مرة أخرى فى المستقبل مستسلمين وندعو الله أن يلهمنا هذا الايمان . لاننا نرى فى ذلك سعادة لنا وعزاء اذا نزلت المصيبة أو عركتنا التجاريب بل نراها سلوة لنا وردعا للنفوس اذا مالت مع الهوى »

« لايشك الرجل ذو الفضيلة فى وجود الله فانه اذا لم يستطع فؤاده أن يتفهم ذاك دعته الغريزة الى الايمان . ذلك بان كل مشاعر الروح انما تتوجه الى الدين »

« لا يستطيع كل امرىء أن ينكر الله »

« ان دينى سهل جداً انظر الى هذا العالم الواسع المختلط البهي ،

فأقول لنفسى يستحيل أن يكون هذا الكون نتيجة المصادفة ، بل هو عمل كائن خفى قادر على كل شىء ، كبير عن الكون بقدر كبر هذا الكون عن أدق آلة من صنع الانسان . هذه حجتى وهى حجة الفلاسفة جميعاً ، لا يستطيع أحدد حضها ، ولكنها فى عين الانسان صغيرة الجرم لاتكفيه ، لانه انما يريد أن يكشف من أسرار وجوده ومستقبلة ما لا يكشفه له هذا الوجود . غير أن الدين كفيل ان يقفه على ما يشعر الانسان انه فى حاجة الى معرفته »

« وقال فى خطاب الى البطريق كومو فى سنة ١٦٩٧ »

« اياك أن تلقى على هوى النفوس زيتا يزيد اشتعالها ، بل ماء يطفىء نارها . وليكن سعيك الى تبغيض الناس فى القساوسة الكاذبين الذين شوهوا الدين وجعلوه آلة لمطامع الملوك وأولى البأس من العالمين . ان مبدأ الانجيل ، نشر المساواة لذلك فهو عون الحكومة الجمهورية التى تؤسسونها فى بلادكم »

« ان للآراء الدينية على النفوس سلطة أكثر مما يرى كثير من أولئك الفلاسفة صغار العقول . وهى قادرة على ان تؤدي للانسانية خدمة لا تطاولها خدمة . اننا اذا سرنا مع البابا فى وفاق استطعنا

ان نبسط سلطتنا على ضمائر مئة مليون من الرجال »

« وبالامس كنت أسير وحدي فى الغابات غريقا فى وحدة الطبيعة وسكوتها . هنالك سمعت صوت ناقوس يدق ، فتحركت فى نفسى عواطف جمة ، بلا اختيار منى . ذلك بان للآثار الاولى وتداعى هذه الآثار فى النفس ، سلطة قوية لايمحوها الزمان. فقلت لنفسي هذا شعورى فليت شعرى كيف يكون شعور سوقة الناس. الافليجبنى الفلاسفة على ذلك اذا استطاعوا اليه سبيلا . ألا ان الدين ضرورى للناس »

« الدين ضرورى جداً فى مدارس البنات . فانه ضمانة الامهات والازواج . الا أنه يجب علينا أن ننشىء مؤمنات لامفكرات . ان ضعف ذهن المرأة وقلة الثبات فى رأيها ووظيفتها فى المجتمع وحاجتها الى الخضوع الدائم والاحسان أمور لاتتم لها الا بالدين »

« ان الذى يدعونى الى الظن ان لا اله فى هذا العالم، يقضى بالعقاب والثواب ، أنى أرى خير الناس فى شقاء وأوغادهم فى سعادة واقبال »

« لله وحده الحكم فيما لايستطيع الناس الحكم فيه »

« اذا لم يستطع الانسان أن يعاهد الله عاهد الشيطان »

« انى أناحكيم من الحكماء أعرف انه لايسمى الرجل عادلا فاضلا فى أى مجتمع مالم يعرف من أين أتى ولا الى أين يذهب. مجرد العقل لايهديك الى الحق فى ذلك . فاذا حاولت الوصول اليه ، وليس فى قلبك من الدين نور سرت فى حلكة وظلام. والدين الكاثوليكى وحده كفيل أن يمد الباحث بما يرضيه عن أولاه وآخرته »

« مادينك هذا ! وماتدعيه من حب الله والبشر ؟ لاتذكرلى ديناً ينقلنى من هـذا العالم دون أن يقول لى من أين أتيت ولا الى أين أذهب »

« اعلم يادوروك أن لنا عالماً آخر سنجتمع فيه »

« تخضع القوة للعقل فى كل مكان . أنظر الى السنكيات فانها تخضع للقس اذ يتكلم باسم السماء ، وللرجل الذى يبذ غيره علما وفضلا »

« كيف تقوم الفضيلة ؟ — الا أنه لاسبيل الى ذلك الا بنشر الدين . . . . . ولا بقاء للمجتمع الا بفقدان التساوى وفقدان هذا التساوى لايدوم الا بالدين . اذا رأيت أحداً من الناس يموت من الجوع ، وأخاه بجانبه فى فضل من العيش ونعيم ، لم تستطع أن تحمل الاول على الرضا بهذه الفروق مالم تقل له (قضت مشيئة الله

أن يكون فى العالم غنى وفقير) ولكن ليس فى الآخرة مثل ذلك . بل الناس يومئذ سواء »

« كل ماله علاقة بالعبادة يجب أن يكون بلا أجرة . فان دفع شيء لدى الابواب أو اكتراء كراسيّ فى الكنائس أمر تشمئز منه النفوس . انه لا يصح أن يحرم الفقير لفقره مما هو عزاءله وسلوة »

« انى معتقد ان فى فرنسا فريقاً كان يعتنق البروستانتية اذا انا مالت الى هذا الدين . ولكنى أعتقد أيضا ان أغلب الفرنسيين كانوا يظلون كاثوليكيين وكانوا يعارضون فى انفصال اخوانهم عنهم أشد المعارضة . ولكنى عمدت الى ارضاء كل فرد فيها باعادة الدين الذي كان دين الاغلبية . وبمنح الاقلية حرية التعبد »

« جدير بولدى أن ينشأ رجلا ذا أراء جديدة وان يكون فتى المبدأ الذى مهدت له سبيله فى كل مكان . جدير به ان ينشيء مامن شأنه أن يقضى على قانون الاقطاعات القديم ويرعى كرامة الانسان وينمى بذور السعادة التى بقيت فى الارض سنين طوالا . جدير به ان ينشر فى الاقطار غير المتمدينة ، وفى البلدان المتبربرة ، فضائل دين المسيحية والمدنية »

« لا بقاء لمذهب التوفيق بين الدين والمنطق أمام الايمان »

« للمرء من ضميره حمى لحريته »

« يزعم القساوسة أن هذه الدنيا مركبة ينتقلون بها الى سواها »

لم يكن عقلاء اليونان يعتبرون دين الوثنية السائد فى تلك البلاد دينا حقا . فلم يعبأ بها سقراط ولا فيثاغورس ولا أفلاطون ولا بريقل ولا غيره . ولكن أرقى العقول آمنوا بالمسيحية ايمانا قلبيا حيا . ذلك بما انطوى عليه الانجيل من الاسرار والمبادىء العظيمة »

الفصل الثامن

الحرب

« حنكة الحرب فى أن يغنم المحارب وقتا ، اذا آنس من نفسه الضعف »

وقال هو في بوريدينو سنة ١٨١٢

« ما الحرب ! ان هى الا تجارة المتبربرين »

« الحرب كالحكومة لا تساس الا بالحصافة والرشد »

« الرأى العام ، والفضيلة ، نصف الفوز فى المعارك »

« فى الحرب تشعر بضيقك ولكنك لا تبصر ضيق عدوك »

وقال يخاطب وزير باڤاريا سنة ١٨١١

« مهلة ثلاث سنين أخرى تجعلنى سيد الكون »

« لا تليق الرعاية والتبجيل الا بالفاتح المنتصر . أما المغلوب فلا يليق له الا التحفظ والكبرياء »

وقال فى سنة ١٨١٤

« أخذ كل امرىء يسأم الحرب . فلقد غاض معين الحماسة . وانطفأت تلك النار المقدسة »

« يجب على القائد ان يعامل جنوده كما يود لو كان من الجنود »

« الحرب دين الجندي »

« أهم صفات القائد الثبات . والثبات عطية الله »

السلب

« لا شىء أقدر على الاخلال بالنظام وأسرع الى هزيمة الجند

من السلب »

وداع نابليون جنده سنة ١٨١٤

« ياجنود حرسى . استودعكم الله لقد صحبتكم عشرين سنة فى سبيل المجد والسؤدد . ولقد كنتم فى هذه الايام أيام الشدة كما كنتم فيما قبلها . أيام الرخاء ، مثالا للشجاعة والامانة . ما كان ليضيع علينا أملنا بجنود على ما انتم عليه من البسالة ، بل لتدوم الحرب حتى لا نهاية لها . تدوم حتى تنقلب الى حرب داخلية . ولكن فى مثلها دمار فرنسا . لقد كانت سعادتها كل مأمولى وستبقى كذلك فى نفوسكم . فلا تحزنوا لما قدر لى ، فانى اذا كنت قد رضيت ان أعيش قائما لاخدم مجدكم . لقد عولت على ان أسطر التاريخ ، تاريخ تلك العظائم التى فعلناها معا

الوداع ياخوانى ! انى لاتمنى أن أعانق كلا منكم على حدة واضمه الى قلبى . ولكن لاسبيل الى ذلك وساعانقكم جميعا الى شخص قائدكم هذا . الوداع أيها الجند كونوا على الدوام رجالا أخياراً »

« الوداع أيها الاخوان . ان قلبى على الدوام معكم فلا تنسونى »

« ما الجندى الا آلة لطاعة الامر »

« لاتبرر القسوة حتى تدعو اليها الضرورة »

« كل ماهو نافع للحرب حلال »

فظائع الحرب

« ان منظر الموقعة بعد انقضائها كفيل ان يوحى الى الملوك حب السلام ومقت الحروب . هنالك تجد الارض قد أغرقتها الدماء والناس فيها بين قتيل مطروح وجندى مجروح . مشهد لعمرى يدمى الفؤاد »

« لايستطيع تصور فظيعة الحرب من لم يشهد الحرب »

« لايعرض انسان نفسه للموت من أجل دراهم معدودة ينقدها، أوحبا فى ميزة كاذبة . اذا أردت أن تجمع حولك رجالا فخاطب أرواحهم يأتوك سراعا »

وقال بعد واقعة أوسترليتز

« ليس للانسان من عمره ما يقضيه فى الحرب الا زمن قصير . ان امامى بعد اليوم ست سنوات أخرى ثم لابد لى بعدها ان يقف جهدى »

« ان الهرم ليدب فى الانسان على عجل فى ميدان القتال »

حملة واترلو

« هنالك لم أشعر بتلك الثقة التامة التى كانت تملأ قلبى فيما مضي من هاماتى فسواء كنت قد جزت تلك البرهة من العمر التى يمالىء الحظ فيها صاحبها أوانى كنت أرى باعث ماهممت به ضئيلا فى عينى ، قليلا فى رأيي ، فانى كنت أحس فى قلبي بكدورة . انقلب الحظ الذى كان يغمرنى بسعده فاذا هو رب قاس ، اذا أنا ظفرت منه بنتف من الاقبال ، تطلب فيها عوضاً كبيراً لم أحصل على النعمة حتى ابتلى بنقمة »

وقال

« اه — لو أمكن. أن تعيدها مرة أخرة »

الفصل التاسع

متفرقات

الطمع

عظيم المطامع خلة عظيم السجية ، من ملكته كان أهلا لان يأتى بالعظائم ، خيرها وشرها ، تبعا للمبادىء التى انطوى عليها صاحبها. أنني لم أشعر بقدرتي على ان أكون عاملا من أفعل عوامل السياسة الا بعد أن عبرت قنطرة لودى واجتزت تلك المفازة الرهيبة. يومئذ طارت شرارة مطامعى العظيمة والتهب بها صدري »

سلطة الظروف

« اذا نحن انتظرنا الظروف حتي تأتى بخير الاوقات لم يمكنا أن نشرع فى عمل من الاعمال . لا نهاية بلا مبدأ . ولست أعرف ان مشروعا بدىء فيه فكانت كل الظروف تمالئه لان للمصادفة أثراً كبيراً في أعمال الانسان . وأتباع القواعد لا يضمن النجاح ، ولكن النجاح يرسم لصاحبه سنة ومنهجاً »

ابن نابليون — أو — ملك روما

الشجاعة

« لم أر من الشجاعة الادبية ذلك الصنف الذى أسميه شجاعة الساعة الثانية بعد نصف الليل . أى اننى لم أر رجلا عنده من الشجاعة الحاضرة ما لا بد منها لدفع الغوائل اذا هى أتت غير منذرة ولا منتظرة ، شجاعة تحفظ لصاحبها حصافة الرأى ورشد الحكم ، بالرغم من كل نازلة مدلهمة وكارثة مداهمة »

ان في الصبر على ضياع الملك واهانة الرصفاء للشجاعة كلها »

« قد تحمى الشجاعة منزل العرش ولكنها لا تمحو العار »

الجبناء

« لا يهين الجبناء الا سوء الحظ » (١)

---

(١) لعله يشير الى اهانة حراسه له فى سنت هيلانه . فيقول انهم لا يهينون نابليون ولكنهم يهينون سوء حظه »

الاخلاص

« لا يمكن مكافأة الاخلاص بالمال »

« لاينبغى للرجل ان يخلف وعده . انى لأكره الخائنين »

الروايات التمثيلية

« المأساة تشغل الروح ، وترفع الوجدان . بل هى تخلق من الناس أبطالا . لذلك أرى ان فرنسا مدينة لكورنى بجزء من أعمالها العظيمة ولو أنه عاش فى ايامى لجعلته أميراً

الحظ

« الحظ كالمرأة . كلما زادتنى خدمة زدتها مطالب »

المودة

« ما المودة الا اسم ، انى لا أحب أحداً من الناس ، حتى اخوتى ، ولكن ربما أحببت يوسف قليلا ، على انى ان اكن أحبه فعن عادة نشأت عليها ، ولانه أكبر منى سنا . ودوروك أيضا ولكن لم هذا

الحب ؟ ان خلقه يعجبنى فهو رصين ، وقور وثبت ، ولاأظن انه ذرف يوماً قطرة من الدمع . أما أنا فالكل سواء فى نظرى ، أعتقد من صميم قلبى انه لاصديق لى ، ولـكنى مادمت حيا وجدت من ادعياء مودتى خلقا كثيرين

أحربنا يا بوريان ان نترك مسائل العواطف ، والشعور للنساء فهى من وظيفتهن . أما الرجال فجدير بهم ان يكونوا ثابتى القلب ، ثابتى العزيمة ، والا فلا شأن لهم فى الحروب ولا الحـكومات »

الذكاء

« انما يعمل الذكاء بالوحى ، فايكون خـيراً فى حين من الاحيان قد يكون شراً فى حين آخر ، ولـكن يجدران ينظر الانسان الى المبدأ ، فأنه كالمحور من القوس ، له منه نسبة محفوظة »

وقال فى خطاب الى مدام بروى ينبئها فيه بفقد زوجها فى واقعة النيل . تاريخه ١٩ أغسطس سنة ١٧٩٨

« ماارهب الساعة التى نحرم فيها ممن نحب ، أنها لتجعلنا في عزلة عن العالم ، وانها لتنزل بالجسمان شدائد الموت ونوازله ، وتستلب من الروح طبائعها ، حتى لاتدوم علاقتها بالعالم المنظور ، الاكما يكون

الحلم ، يقلب المناظر ، ويلوى المخابر . تبدو الخلائق فى العيون أشد أثرة وابرد قلبا مما هم . حتى لو خير الانسان بين الحياة والموت لاستحب الموت . ولكنه اذا ألمت به هذه الفكرة . ودنت منه أولاده فعانقهم وضمهم الى صدره ، هطلت دموعه وتحركت فى نفسه عواطف الحنو عليهم ، فحييت فى نفسه طبائعه وآثر الحياة على الموت لانه يومئذ يحيا لاولاده

أجل ياسيدتى . انظرى اليوم اليهم وقد فتحوا عليك باب الاحزان . فأنت تبكين وهم يبكون ، وستذكرين لهم والدهم وتبثين لهم شجوك ، لفقد من فقدت ، ومن خسرته الجمهورية ، ثم ستنظرين اليهم ترجين الحياة من أجلهم . ويا أيتها السيدة اذا علقت من أجلهم نفسك بالحياة طوعا لعواطف الأم وحنوها على الولد ، فاذكرى ان لك من الناس من تعتمدين على صداقته ورعايته . مودة صديق ورعايته لزوجة صديق كان عزيزا لديه . واعلمى ياسيدتى ان فى الناس من هو جدير أن يكون أمل المحزونين ، لانه يدرك مقدار الشدة التى تلم بهم »

التاريخ

« لا يصح أن يكون التاريخ ايهاما وتغريراً . بل يجدر أن يكون نوراً لقارئه وهدى . ولا يصح أن يكون جهده وصف الحوادث وذكر القصص وصفا يراد به مجرد التأثير فينا. ان تاسيتوس لم يدرس أسرار الامور درسا يؤهله لمعرفة حقائقها ، ولم يتمعن فى مجارى الآراء ويبحث عن العلاقات التى تربطها بعضها ببعض ، حتى اذا ألقيت الى الناس استقر رأيهم على ما هو حقيق ، وكان حكمهم يومئذ خاليا من نزعات التحيز يجب أن يكون التاريخ بحيث اذا وصف رجال عهد من العهود أو أمة من الامم ، وصفهم على ماهم عليه من تلك العهود وبين الوسط الذى عاشوا فيه . لذلك يجدر بالمؤرخ أن يعنى بالمسائل الخارجية ، والظروف العارضة ، التى تكون قد أثرت فيهم وفى أعمالهم . ويبحث عن مقدار هذا التأثير ومقدار ما فعل

لم يكن البراطرة الرومانيون من الفساد على ماوصفهم تاسيتوس لذلك أرانى مضطراً الى تفضيل مونتسكيو عليه لعدله فى حكمه ، وقربه من الحق فى انتقاده »

« ليقرأ ولدى التاريخ ، ويمعن النظر فيه . فان فى ذلك الفلسفة الحقيقية . ليقرأ عن حروب عظماء القادة ، ويفكر فيها . فان فى ذلك ، السبيل الوحيدة التى تمكن الانسان من درس علوم القتال . ولكن لاعبرة بكل ما تقول له ولا قيمة لكل ما يدرسه ، مالم يكن فى قلبه ذلك النور المقدس ، نور حب الحق والخير ، الذي يهديه الى جلائل الاعمال ، يقوم بها . على انى أرجو أن يكون أهلا لما قدر له »

﴿ انسانية نابليون ﴾

قال نابليون الى مورتيه الذى وكل بملاحظة الجلاء عن موسكو فى ١٩ اكتوبر سنة ١٨١٢

« ليكن كل اهتمامك وعنايتك بالمريض والجريح . واجعل متاعك وفراشك لهم ، وخصص العربات لمنفعتهم ، واذا لم تكفهم هذه العربات ، فأنزل لهم عن سروج مطاياك ..... اجمع القوّاد والضباط حولك وأيقظهم الى ضرورة البر فى هذه الظروف ، لقد كان الرومان يمنحون كل من احتفظ بحياة اخوانهم تاجا وطنيا ، دليلا على اعترافهم له بالفضل »

﴿ الجنون ﴾

« الجنون تجريد للانسان من الطبيعه البشرية. أما أنا فلست أخشى الجنون ، لان لى رأسا من الحديد . أما اليأس فأمر آخر ، لى فيه رأى ثابت . قد يجيء يوم تسمع فيه يا كولانكور اننى يئست من الحياة ، ولكن لن ترانى يوما من الايام فاقداً صوابى »

﴿ المصيبة ﴾

جاء فى مقالة كتبها نابليون فى موضوع الحقائق والآراء التى يجب أن تقرر فى فى الذهن ليسعد الجنس البشرى » وأرسلها الى مجمع ليون العلمى سنة ١٧٩١

« ان سبب المصايب التى تنزل بالانسان ، وأصل الكوارث التى تحيق به انما هو سوء التصور ، واختلال نظام الفكر . فهو يدفعنا من بحر الى بحر ، ومن خيال الى خيال ، حتى اذا هدأ الفكر ومرت ساعة الفرصة ، دقت ساعة الانسان ، فغادر الحياة ، وقد سئم الحياة »

« ان الزمن الذى قضيته فى مصر كان أبهى أوقات حياتى

وأجملها ، ذلك بأنى قضيته سبحا فى عالم الخيال »

« ان الرجل الذى يحتمل مصايب الحياة ، ونوازل الايام ، أشجع من ذلك الذى يقدم على قتل نفسه فيموت . لا يقضى على حياته إلا مقامر أفلس ، أو مشرف أعدم . وهو فى ذلك انما يدل على فقد الشجاعة »

« قتل النفس من أعمال الجبن »

« فى كل ساعة من الوقت سبيل الى مصيبة تحيق بالمستقبل »

« تأتى المصايب بالخير كما تأتى بالشر . فهى تعلمنا الحقيقة : ينزل الرأى الثابت منزل المغلوط فيه ، وتقلب النتائج ، فاذا هى مقدمات لخيالات وأوهام ، وأضغاث أحلام »

« اليوم وقد خلص رأسى من عبء التاج ، أستطيع ان افكر فى الايام التى كانت أغلاطى فيها بارادة الله . انى لادرك ما للمصادفات والحظوظ ، من الاثر فيما يقدر للانسان . وفى تلك الحوادث التى يتوقف عليها مستقبل الامم والممالك »

نابليون ميتا وكفه على وسام اللجيون دونور الذي أنشأه

« لاتخلو المصايب من دلائل المجد والبطولة . لقد كان دأبى ينقصه سوء الحظ »

الثبات

« لاتبلغ الغايات الا بالعزم وحصافة الرأى »

التحامل والكبرياء

لا يصغى صاحب التحامل والكبرياء الى صوت العقل ولا الى الطبيعة ولا الى الدين . فلا يذعن استبداد الاشراف الا للقوة والبطش »

سلطة المطابع

« ان الذى تحبره اليد من المسطورات لا يؤثر فى عقول الجمهور كما يؤثر المطبوع . انما الطباعة خاتم السلطة »

السمعة

« ما السمعة العظيمة الا ضوضاء عظيمة . كلما زادت . زاد انتشارها تفنى الامم والآثار والمناشيء والقوانين ولا تفنى الضوضاء بل تظل

تتجاوب أجزاؤها ، وتتنادى اصداؤها بين الاخلاف والاعقاب .
أن قوتى مستمدة من مجدى . ومجدى مستمد من النصر الذى حزته »

ضد الرق

« ماهذه الآلة الانسانية الضئيلة . الا انما الناس مختلفون .
هل رأينا انسانا يماثل فى ظاهره ظاهر غيره . أويشابه فى تركيب باطنه باطن غيره ؟ لقد نسينا ذلك ، حتى استبحنا اقتراف كثير من الاغلاط والمخاطىء . لو أن توبى (١) كان فى أديم بروتوس (٢) لقتل نفسه . ولو كان فى أديم عيسوب (٣) فربما كان اليوم مستشار الحاكم ولو كان مسيحيا يغلو فى دينه لرسف فى قيوده راضيا ولحمد هذه القيود أما وهو كما هو ، فانه يحتمل مصايبه ساكنا هادئا ينكب على عمله مجداً فيه ويقضى يومه فى هدوء لا أثر الا للبراءة فيه

لاشك ان بين توبى والملك رتشارد بونا كبيراً فى المقام ولكن الجريمة فى فظاعتها واحدة . فان لهذا المسكين زوجة وبنين وأهلا

---

(١) توبي اسم عبد كان يشتغل في بستان منزل نابليون في سنت هيلانة
(٢) بروتوس اسم أحد رفقاء يوليوس القيصر وكان مشهوراً بالفضل والحجى والاباء
(٣) عيسوب اليونانى صاحب الخرافات الحكمية المعروفة

واقربين حرم منهم واحرموا منه . وسعادة قد قطعت عنه . وحرية قد سلبت منه . انى لأرى احضاره الى هذه الجزيرة ، يرسف فى قيود عبوديته ، عملا من أعمال القسوة الفظيعة »

تعريف العرش

« ما العرش ؟ أربعة قطع من الخشب مغطاة بالمخمل »

السياحة

« للمرء من السياحة مكسب عظيم »

آخر جملة

« ما أحلى الراحة ! لقد أصبح الفراش عندى منزلا للنعيم . ما أشد تهدجى . لقد كان نشاطى غير محدود ، وكان فؤادى لا يغفى . كم مرة أمليت على أربعة أو خمسة من الكتاب كانوا من السرعة فى الكتابة على سرعة نطق بالقول . ولكن كان كل ذلك يوم كنت نابليون . اما الآن فلست شيئاً . لقد اعتراني الخمول حتى لا أستطيع

أن أشرع جفني عند النظر . وخانني قواي ، فما أنا اليوم من الاحياء بل أنا موجود فقط »

انتهى تعريب المنتخب من كلمات نابليون. ولست أظنني قاسيت في تعريب هذه الكلمات . فقد اضطررت ان أتقيد باللفظ كما جاء وارتبط بالسياق . كما أنسق ، احتفاظا بخفايا المعاني التي تضويها الالفاظ على صورتها التي جاءت فيها . وقد خاطرت بما يخاطر به المعرب انصافا لنابليون ، وارضاء لنفسي ، فأما اذا وجد القارىء فيها نزولا عن بليغ العبارة التي اعتادها في كثير من المعربات ، فحسبي في ذلك انني أعرب كلمات وحكما يلتزم فيها المعرب مالا يلتزم في سواها من نقل المعاني كما هي ولن يدرك صعوبة هذا المنحى الا من عانى التعريب زمانا طويلا من لغة الى لغة تخالفها شمالا ويمينا

المعرب

*
* *

وهنا آتي على عنوانات الكتب التي استمد منها الجامع كلمات نابليون: « حياة نابليون بونابارت » و « رسائل بونابارت » كلاهما تأليف چوسيف أبوت

« ذكرى نابليون بونابارت » تأليف بوريان

« تذكارات » : تأليف كولا نكورت دوق فيسنزا

« رسائل نابليون لچوزفين » جمع هول

« نابليون الحقيقى » تأليف چوسلين »

« تذكارات سنت هيلانة » تأليف كونت دولا كاس »

« محادثات نابليون مع الجنرال بارون جورجورد فى سنت هيلانة » تأليف اليصابات ورملى لانيمار

يوميات سنت هيلانة . من سنت ١٨١٦ الى ١٨١٧ » تأليف ليدى مالكولم

« نابليون فى منزله » تأليف فريد يريك ماسون »

« حياة نابليون الخاصة » تأليف ارثر ليفى

« تاريخ أسر نابليون » تأليف الكونت مونثلون

« تذكارات » تأليف شانسلون باسكية

« نابليون . اخر منظر » تأليف برايمروز »

« نابليون الاول » تأليف روز

« حياة نابليون بونابارت » تأليف سلون »

« حياة نابليون بونابارت تأليف ايداتاربل »

« أم نابليون » تأليف تشودي كلار »

« ١٨١٢، أو نابليون فى الروسيا » تاليف فاسيلى فيريستشاجين »

« نابليون » تاليف توماس واطسون

« نابليون الصغير » تاليف الفيلد مارشال الفيكونت ولسلي

VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

(ARAB)
DC214
.R359
1915